

مع تحياتي : علي مولا

وجدانيات

اسامه "أنو حكاية"



أوراق مسافر

**نتمنى لكم أمتع الأوقات مع**

**منتديات ليلاس الثقافيه**

**إهداء**

إلى ... ..

الوهم الذى كان يوماً حقيقة ...

.. والجرح الذى كان يوماً ... وردة ...

.. والألم الذى كان يوماً ... ترنيمة حلم ...

أسامة أنور عكاشة

## تقديم

فى ربيع عام ١٩٩٢ ... طلب منى الصحفى النابه والصدىق «محمود سعد» وكان يدير مكتب إحدى المجلات العربية فى القاهرة أن أكتب صفحة ثابتة ألتقى فيها مع قراء هذه المجلة كل أسبوع .

وفاجأنى الطلب ...

صحيح أننى لم أكن حديث العهد بكتابة المقال الصحفى ... ولكن ... كنت أكتبه أحيانا عندما أحس بحاجتى إلى التعبير عن رأى فى قضية ما من القضايا المثارة على الساحة ... خاصة إذا كان هذا الرأى لا يمكن فنيا أو عمليا التعبير عنه فى دراما أكتبها ...

هذا إلى جانب أننى لم أفكر لحظة ... ولم يدربخلدى ... أن أسارس الكتابة المنتظمة فى أى صحيفة ... وكان أن أحسست أولاً باستحالة الطلب وبدأت أمهد للاعتذار ... ولكن «محمود سعد» صحفى شاطر ... استطاع أن يستدرجنى ويهون على الأمر حتى كتبت ...

قبلها واجهنى سؤال : ماذا أكتب ؟ ...

لم يكن مطلوباً أن أكتب المقال السياسى ... لأن المجلة بيتيدة تماماً عن السياسة ...

ولم أرد أنا أن أكتب فى الفن ... باعتبار أن انتسابى إليه قد يؤدى إلى حساسيات لا لزوم لها ... واقترح على محمود ... أن أكتب : خواطر ... أو شطحات فى الفكر والحياة والعاطفة ... فكان أن فتح لى الباب وحل الإشكال ...

قررت أن أكتب فى الرومانسيات ... أترك نفسى لتيار المشاعر يحملنى فى سفرة يومية عبر أجواء اللاشعور والمخبوء ... وما انطوت عليه الجوانح ... وأردت أن أغمس سن القلم فى شغاف القلب ... يستمد مداده من الجراح الحية ... ونسيج الذكريات وأحلام اليقظة وأطلال الآمال الكسيرة وإشراقات الأمانى الوليدة ... مقدراً أننى فى حقيقة الأمر لا أكتب تهويمات تتطاير فى الهواء كدخان ... وإنما أكتب حقائق نفسية تبدو شديدة الخصوصية ولكنها فى واقع الأمر تلمس أوتار القلوب لدى كل قارئ ...

وتوالى مقالاتى فى الصفحة الأخيرة التى خصصت لأوراق المسافر طوال ما يزيد عن ثلاث سنوات ... دهشت لها قبل أن يدبش الآخرون ...

لم أتصور قبلاً أن لدى كل هذا المخزون ... وأن بداخلى هذا الشاعر وإن لم يك ما يكتبه شعراً ... حتى أننى أنكرت نفسى حين عكفت على مراجعة المقالات لإصدارها فى كتاب ...

وحدثنى الأصدقاء فقال قائلهم ...

ليس هذا هو أسامة أنور عكاشة الذى نعرف ... وقلت مسامراً : وليس هو الذى أعرفه أنا أيضاً ...

ولكننى حين دقت النظر وأمعنت للتفكير ... وجدت أن الكاتب ليس هو نفسه فى كل مرة يكتب ... وإذا كانت دراما التليفزيون تحتّم أن يكون كاتبها لصيقاً بالواقع وأن يوظف كل إمكاناته وإبداعه لخدمة هذا الواقع بتفسيره والتعبير عنه بعيداً عن مغامرات التجريب ومخاطبة «الخاصة» ... فإن للكاتب - الموهوب جوانب إبداعية أخرى يعبر فيها عن ذاته وعن هواجسه وأحلامه لاسيما إذا اقتربت اليات

الإبداع عنده وتلامست مع روح «الشعر» .. وأبداً فأقول أن ماسبقاً،  
الملتقى عبر هذا الكتاب وما يكون من «وجدانيات» ليس شعراً ولا  
هو محاولة لكتابة «قصيدة النثر» أو الشعر الحر أو غيرها مما حفلت به  
الساحة الأدبية من أشكال التحايل أو التجديد أو أياً كانت المسميات ...  
فقد أستطيع أن أنسب هذه «الوجدانيات» لما اصطلح على  
تسميته «بالنثر الفني» والحق أقول أنني لم أعن حين كتبتها  
بوضعها أو بتصنيفها ضمن «شكل» أدبي بعينه ولا يعينني الآن  
أن يعدها ناقد ما مجرد «خواطر» مرسلة أو يصنفها آخر ضمن هذا  
الجنس أو ذاك من أجناس الأدب ...

ولعل لا أنهي هذه المقدمة دون أن أعبر عن امتناني العميق  
لأصحاب الفضل في صدور هذه الوجدانيات ... للصديق محمود  
سعد ... وهو من أصر على أن أكتبها وصبر معي وعلى طوال  
سنوات ثلاث ... ولولاه ما كانت أصلاً ! ..

ويبقى أن أتوجه بالشكر للأساتذة أصحاب دار «نهضة مصر»  
للطباعة والنشر لما أبدوه من حماس كريم ... وما بذلوه من جهد  
لإخراج هذا الكتاب على أفضل صورة ...

ولك أيها القارئ العزيز شكري الخاص إذا قرأت فاستمتعت  
ورأيت أنني لم أخلف حسن ظنك بي ...

ولك اعتذارى إذا وجدت في سطوري ما يزعجك أو يضيع  
وقتك ... وعلى الله قصد السبيل ....

اسامة العزى كشنة

قـدراً!

أن نلتقى الآن ! .. قدراً!

أن تتقابل أقدامنا على جسر لم نعبه من قبل! وبيننا مسافات  
من أميال وسنوات ... أيضاً قدراً!

غريبان اجتماعاً في رحلة ليل لم يقطعها قطار ولم ينتبه لها  
الزمن ولم يتهياً لها المكان ... لكنها قدراً ...

طرفة عين لا أكثر! لم يعد العالم بعدها كما تعودت أن يكون!

يشبك الطريق! يتقاطع .. تتواجه في المفترق!

من سنوات طوال وكل منا قد حُدد اتجاهه واستسلم لأسهم  
تشير له أمرة «الدخول اجباري» ... والسير في هذا الاتجاه لا  
مفر! ... وأطعت قدرى ... سرت دربي ... وألقيت عصاي  
على كاهلي ... وشرعت عيناي في أفق لا تعبده شمس النهار ولا  
تتألق في ليله نجمة هادية! ولم تتكاثف في أرجائه سحب حبلى

بمطر قريب ... جف حلقى .. وتشقق لساني .. ودميت أقدامى!  
ولم يبق لى من زاد إلا لقيمات الصبر المرة ألوكمها مع الأيام ..  
حجراً يدور فى رضى لا تطحن غير التراب ...

وأه من طعم التراب! ...

لعلك قد عرفته وأنت بعدما زلت فى الربيع الأول من دربك الطويل ...  
رأيت الطعم لحا فى نظرة بأس تبرق فى عينيك كمامة  
سوداء ... قرأت سطور القصة ... كانت الكلمات مألوفة ...  
كأنى كتبت بها قصتى! ...  
يوماً قالت لى العرافة ...

- ستلتقك على نفس الطريق! وليس فى نفس الموعد! ..

أدركت الآن فقط أن اللعبة كانت الزمن! ..

لم تشأ الأقدار أن يلتقى الغريبان فى الزمن الصحيح! لعبت  
بعقارب الساعات

... أو هممتنا بأن السنوات الطوال تساوى الأيام ... وأن الأيام  
تساوى اللحظة ... وصدقنا! تحرك كل إلى صاحبه وكان كل  
الدروب مغلقة إلا درب اللقاء ...

التقينا ... ونحن نعرف صاحب اللعبة! ونعرف لعبته ...  
ونعرف كيف ينسج خيوطه على نول الصدفة .. ويلونها بألوانه  
العابثة ليصنع منها فى النهاية ثوبا مزودج الوجه ...

- الحب يا ولدى كما تراه ... فارتدى ثوبك على الوجه الذى  
تحب ...

- ولكنى لا أرى شيئاً فقد عصبت عيني! ...

- وهل من عاشق يرى أقداره ويختار؟

وحملت إليك السؤال وأنا أعلم أنك مثلى لاتعرفين الجواب ...  
وعصفت بأعماقى رياح التمرد! أحسست بالمهانة ... ورفضت  
الاستلاب ...

من يفرض السؤال ... يفرض الجواب ...  
إذا فلنضع سؤالنا ... ولنلق بأسئلته بين حجرى الوحي  
ليطحنها مع التراب ...  
... ولنبدأ الطقوس ...

انظري فى عيني ... واقرأى الحروف ...

ومن عينيك أتلقي الكلمات ...

إذا أردنا سنفعل ...

لن نرتدى ثوبه ...

فقد أردنا! .. وحين أردنا صنعنا نولنا الصغير ... وغزلنا عليه  
الكلمات .. خيطاً لامعاً من شمس الخريف ... يفسد لعبته الزمنية ...  
فيكون .. ربما يكون هو اللاعب الجديد ... ربما كان قدراً!

كلمات من يوميات قديمة!

أعبيدها نظرات منك صادقة

أن تحسب الشحم فى من شحمه ورم

«أبو الطيب المتنبى»

الزمن القادم يا أختاه مسافر أنصاع بوصلته ... وغمت عليه  
الشمس والنجوم ... وصمتت دونه الرياح فوقف عند المفترق  
يجيل بصره بين الدروب المتشابكة والإشارات الخادعة ...

درب الماضي هو درب المستقبل .. وعليه لافتة تشير إلى السير  
فى اتجاه واحد ... لا عودة ... لا رجوع ...  
وعند قمة المنحنى ينتهى الدرب ... ولا تبقى إلا خطوة نحو  
الهاوية ...

... ودرب الانتظار تعلوه لافتة «منع الانتظار» ...

ودرب السلامة تعلوه إشارة الخطر ...

ودرب الندامة تغلقه الأشواك وتربض فى منحنياته وحوش  
الرغبة ... ولم يبق هناك إلا درب وحيد ... بلا لافتة ... ولكن  
زمننا القادم يعرف .. هو درب دانتي ...  
أيها الداخل ... لن يكون هناك خروج ...

.....

صروح الزهر وجف العبير ...

وتساقطت قطرات الحزن على الحدود ...

وقريباً تأتى الثلوج ...

فلنبحث عن رداء يا أختاه ... ومظلة للمطر ...

## فري

تتراكض سحب تشرين .. تتسابق .. نلتحم .. تصبح الشمس  
أسيرة ... وتسرى فى الأطراف برودة الزمن القادم ...

والزمن القادم يا أختاه يرتدى مسح الفارس المهزوم ... يمتطى  
ظهر جواد أثخنه الجراح ... تتدلى من سرجه المهترئ قريتا ماء  
فارغتين إلا من قطرات الثمالة .. يجرجر على الأرض سيفاً صدئاً  
ويشرع أعلاه رمحه المكسور ...

... الزمن القادم يا أختاه طفل مقرر أدركه الشيب قبل الأوان  
فلم يعرف الصبا ولم يعيش لحظة شباب ... ولد عارياً فتغطى  
بوريقات أشجار زاوية ولملم أطرافه على الطوى ...

الزمن القادم يا أختاه ... شحاذ يجلس فى دروب المدينة  
العتيقة يعزف على قيثارة غرب مقطوع الأوتار ألعانا منسية ويردد  
أغنيات الحب القديمة التى لا تطرب أحداً ...

ولنملا جنوبنا ببعض الزاد... لقيمات فقط... فالرحلة  
قصيرة.. أقصر من عمر فراشة...

أقصر من مدى خطوة...

زمننا القادم ينتظر عند المفترق... ويشير لنا كى نسرع...  
وعلينا أن نطيع.. فرما...

ربما فقط كان يعد لنا تحت معطفه الثقيل أعجوبة يفاجئنا  
بها... من يدري؟

أما زلنا نقوى على الأمل...

مازلنا نحيا...

كلمات من دفتر قدم:

الذكاء عند بعضهم...

ليس أن تفهم الآخرين...

ولكن أن تمنعهم من فهمك!



خصلة شعر تحركها ريح نزقة... ترعشها كخفقة قلب..  
تطويها وتبسطها كشرع ملاح تائه... تجشو بها على جبين  
بللورى.. تلثمه.. تهمس له.. تناجيه.. تشتعل تحت نار  
الغروب... تتوهج... تنثر حولها رازاً من ألقي ساحر...  
... تولد من حضن الأفق...

تتهادى ملؤها كبرياء... وترفل فى ثوبها السماوى المتوج  
بأكليل وردى... تبلو كعروس إغريقية تتواثب على قمة  
الأوليمب...

كسراب تقبل ولا تصل.. تعد ولا تنفى.. تغرى ولا تلبى...  
أجلس على كשבان الشاطئ بكأسى الفارغ... وأنتظر فيض  
الرحيق...

بحوارى سلتي الخاوية... تنتظر كرمها الموعود...

لظالما استغرقتنا أحلام الدوالى ... تتساقط حباتها بين شفتين  
تشققنا ظمأً واحترقنا فى موسم الجفاف ...

لكنها قادمة ...

المح بشاراتها زبداً يتفتت على الرمال ... وأصدافاً مبللة تقفز  
بين أصابعى وتهمس فى أذننى بسر الرحلة الطويلة ...

لظالما حاورت البحر ... سمعنى كثيراً ... وسمعته طويلاً ...  
أخبرنى عن كل الأشياء وألقى بين يدى بكل أسرارهِ ... حكى  
لى عن عالمه المسحور ... عن جنياته ... وعرائس أعماقهِ ... عن  
قصص المحبين ... وحكايا العشاق وسفريات الراحلين ... وأشواق  
التائهين ...

صرنا أصدقاء فسألته عنها ...

لم يجب البحر ...

تحول إلى زجاج أصم تنعكس عليه أشباح رمادية ...

سألت الرمال ... خططت بأصبعى اسماً ... وضعت تحته  
خطاً ... رسمت علامة الاستفهام .. توترت الرمال تبعثرت  
وانفلتت حباتها فى مسار العاصفة فانمحت الحروف ... وانطمست  
علامة الاستفهام ... ونسيت السؤال!

لكنها قادمة ... هاهى تسرع نحوى .. فوارة صاخبة ... كأنها  
تنادينى ... تهتف باسمى ...

سأخوض إليها عباب البحر ... سأشرع ذراعى فى وجه

الإعصار ... أفتح لها صدرى .. ألقى برأسى فى أحضانها ..  
تغمرنى ... أغوص فى أعماقها أرفع رأسى ... تلمع شمس  
الظهيرة عينى ... تحرقهما ذرات الملح ... أحتمى بها ولكنى لا  
أجدها ...

كأنها لم تجئ ... كأنها لم تكن ...

وكانى كدأبى كل مرة ... أقبض على حفنة مياه تتسرب من  
بين أصابعى فأفتح كفى على الهباء ...

أقلب كأسى .. أنظف سلتى ... أنتظر الأخرى ...

هاهى تقبل من بعيد ... وهى أنا أجرى إليها ...

لم يخبرنى أحد من قبل أن الأمواج تموت على حافة الشيطان .

كلمات من دفتر قديم :

انهم يقولون ... ماذا يقولون؟

دعهم يقولون!

«مثل غربى»

فى المطة بعد أن سبقها كلبها الضخم . وقد حدث الأمر فى هذه  
اللحظة بالذات ... بعد أن اختفت العجوز و كلبها وسار الترام ..  
وارتد هو ليجلس مكانه ... وهنا لمح القطعة .. على المقعد الذى  
كانت العجوز تحتله ...

كان هناك شعاع من مصباح العربى ينعكس عليها .. لامعاً  
كنصل حاد ... براقاً كأنذار ... مختلجاً كدعوة إغراء ...  
تظاهر برغبته فى تغيير مكانه ... وأسرع إلى المقعد ... تلفت  
حواله ليرى موقع الحصل ... ولكنه كان قد انتحى ركناً وغرق فى  
النوم ... وامتدت يده لتلقط القطعة ...

حلية من الذهب الخالص تنوسطها قطعة من الياقوت  
الحقيقى ... دسها فى جيبيه وقلبه تتسارع دقاته فى عنف ..  
ولعابه يجف فى حلقه ..  
... يا لله ! متى كان لصاً ؟

سار والسؤال يدق فى رأسه موازياً دقات قدميه على أرض  
الشارع الخالى فى هدأة آخر الليل ...

كيف يعود بهذه القطعة إلى بيته؟ وماذا سيقول عنها لزوجته؟  
اشترأها؟ من أين وهى تعرف جيداً أن مامعه يكفى بالكاد  
لشراء التبغ والعودة إلى المنزل ..  
... أم يقول أنه وجدها فى الشارع؟ أم يقول الحقيقة ؟

تشابكت الأسئلة وأصابته بالدوار فى لحظة .. نفس اللحظة  
التي لمح فيها ..

كان يسير موازياً له على الرصيف المقابل .. ربما كان يتبعه من  
البداية ...

## ثالث

هبط من عربة الترام وقد أغلق قبضته على القطعة المعدنية بقوة  
هائلة حتى أحس أنه لو أراد أن يفتحها ثانية لما استطاع ..

كان العرق ينزف من كل مسامه كتقطرات الثلج .. ولم يجرؤ على  
النظر للخلف ... رغم إحساسه بأن هناك تياراً من نار يلهب رأسه ...

... عبر الطريق إلى الرصيف ... فكر أن « يضعها » فى  
جيبيه ... لكن ذراعه شبه المشلول لم يطاوعه .. كان الخدر يختلط  
بالألم كلما حرك ذراعه .. وأحس لها « بلمس » جمرة تحرق لحم  
الكف .. ما الذى جعله يفعل هذا؟

لماذا استسلم لذلك الهاجس الشيطانى؟

... لقد كان وحده تقريباً فى عربة الترام ... لم يكن هناك  
سواها .. تلك العجوز الموهلة فى القدم التى احتاج الأمر حين حل  
موعد هبوطها .. أن يتعاون مع محصل التذاكر حتى يمكنها النزول

افتترض أولاً أنها مجرد صدفة .. فأبطأ فى سيره .. ثم توقف ..  
ثم أسرع .. وفى كل حالة كان يفعل مثله .. وكأنه كان ظله ...  
أحس بخوف مبهم يهاجمه .. فقرر أن يجرى ... لديه فرصة ..  
فالنزل قد اقترب ... بعد تقاطعين لا أكثر ...  
جرى ... فجرى الآخر ... وهذه المرة لم يكن بموازاته وإنما كان  
خلفه ..

أحس باللهات الوحشى ... ثم غمغمة غاضبة ... وخاتته  
ساقاه .. فتوقف واستدار مرعوباً .. فوقف المطارد بدوره ..  
كان لسانه يتدلى ... وعينه تبرقان بأمر صارم .. وأنيابه الحادة  
تنتصب فى وجهه مهددة منذرة ... ماذا يريد ..! أجابته نبحة  
حاددة غاضبة .. ونظرة من العينين الزجاجيتين .. نحو قبضته ..  
نظر إلى قبضته .. ونذكر! فلانت عضلاته وفتحها ..  
نبحة أخرى جعلته يفهم ...  
رمى القطعة على الأرض ... انقض عليها الكلب وقبض  
عليها بأنيابه ... ثم أقفل يعدو مختفياً فى حلقة الطريقة ...  
أما هو .. فقد واصل طريقه .. وهو يتشأب ويحلم بالسريـر  
والنعاس .

كلمات من دفتر قديم :

أطعت فى عواذلاً فهجرتنى

وعصيت فيك وقد جهدن عواذلاً

«جميل بثينة»



فى الغرب .. تهاوت شمس تشرين وانطفأت فى البحر ...  
... كنت قد انتهيت من قصتى ... وفرغت من آخر حرف  
فيها ... وألقيت على صديقى نظرة التساؤل الأخير ...  
تقطب حاجباه .. وشرد طويلاً ... ثم همس :  
- تعرف أن الحلم قصير ...  
- وأعرف أن العمر الراكض أقصر ...  
... وصمتنا ..

لم يعد هناك ما يقال ... فرحلة الألف ميل لم تبدأ ... لم  
تخط خطورتها الأولى ... وبقي الطريق طويلاً ... عسيراً ... يلوح  
كأنه الأبد!

لم أسأل أحداً غير صديقى ! .. وصديقى لم يعرف ماذا  
يقول ... نهض .. وألقى سلاماً .. وتوارى .. ينفض العالم من

حولى ... تلذعنى ريح الوحدة! أفزع للقلم وللأوراق .. أكتب ..  
أتكلم ... أصرخ! أصنع من أضغاث الحلم رجالاً .. ونساء ..  
أطفالاً ... تتقدم طفلة ... الطفلة تمسك بأصابعها زهرة ..  
تغرسها فى قلب ينزف ... يتقاطر حرفاً حرفاً على ورق أبيض ..  
تقرأها الطفلة ... تهمس دامعة العينين ...

- عمر الورد قصير ....

- والعمر الراكض أقصر ....

لثمت أوراقى المسطورة ... أنبتت الأوراق قصيدة ... غنتها  
الطفلة ... لكن اللحن تهدج محزوناً .. وارتجفت أوتار المعزف ...  
طلبت اسماً للمقطوعة :

« كم يبلغ عمر الأحزان؟ » ...

قالت : ليلة ! ... قالت : لحظة ! ... قالت : عمراً ...

لم تعد الطفلة .. طفلة .. صارت امرأة فى لحظة ! جلست ..  
« موناليزا » تبسم للفنان ...

لم أملك ساعتها ... فرشاة ... لم أرسم لوحة ...

همست تسألنى : فيم تفكر؟ ..

لم أتكلم ... ردت عنى عيناي : لا أعرف ماذا أكتب ... ماذا  
أعزف ... ماذا أرسم ! ..

هل أنظملك قصيداً فى ديوان العشق؟ ... أم أعزفك «سوناتا»  
على أوتار القلب؟

أم أرسمك غلاباً لكتاب العمر؟ ..

قالت : أخشى أن يصدق ما همسوا به ...

عنى؟ ...

قالت : لعبتك الكلمة ! لعبتك الكلمة !

وماذا أفعل والكلمة قدرى؟ ..

من صدرى أخرجت الزهرة دامية الأوراق ... عادت امرأتى  
طفلة ... مدت يدها تطلب زهرتها ...

رجعت للصفحات المسطورة ... عادت حرفاً ... صارت جزءاً  
من كلمة ... خفقت بعضاً من نبضة .. رنت فى الصرخة نبرة ...  
أيقظنى الصوت ! ..

وعند السور الراكض فوق الموج ... كان صديقى ...

يجلس مكدود النظرة ...

هل كانت قصتك مجرد حلم؟ ...

قلت ... تعرف أن الحلم قصير ...

قال ... والعمر الراكض أقصر ...

**كلمات من دفتر قديم :**

إذا كان ذنبى أن حبك سيدى

فكل لىالى العاشقين ذنوبى

أتوب إلى ربى وإنى لمسرة ..

يسامحنى ربى إليك أتوب

أحلم بالقطر يبلل جوانح الشوق .. ويروى غلة الظمأ ...  
وينبت في قلب الصخر زهرة بيضاء ...  
... وحين استيقظت من الحلم على هسيس المطر ... كنت  
... وردني ...

كنت هناك .. عبر الأسوار ... حيث لا تطالك أيدي  
الأمنيات ... نجمة ... مثل نجمة تخفق في ليلة لم يبد فيها  
القمر ... أو كنت ومضة ... ومضة قنديل في حضن شرفة  
مسورة ... يلوح للناثه عن بعد فيهديه المسير ..

تضوعت الأمطار بعطرك وتلألأت ببريق عينيكي ...  
فخلعت عنى رداء الخريف القاتم وجريت أغتسل تحت الدفق  
الربيعي وملأت كفى وشربت حتى الشمالة ....  
نفضت عنى قطرات المطر ... نشرتها على أوراق الشجر ..  
وبللت بها شفاه الورد ...

سقطت في حجرى وردة ... رفعتها إلى شفتى ...  
وكان الرحيق هو البشرى! ....  
وفى المساء جلست أنتظر ... أمسكت فلمى وكتبت قصيدة  
شعر ...

نظمت من الأيام والذكريات والأشواق عقداً أحيط به  
نحرك ... تلثم حباته ما سال فى مجرى العبير فى صدرك ...  
أمسك العقد بين أصابعى ... وأنتظر ... فى شرفتى المظلة على  
درب الفيروز ... حيث خطرتى ذات مساء صيفى بلا موعد ...

لـ

ولد الربيع مبتمراً فى موسم الأمطار! أشرق ذات يوم من مشيمة  
فجر شتوى بارد ... تسلفت خيوط الدفء خجلى ولكنها ملحة ..  
تصر على اجتياز المساحات الثلجية ... تصاعدت أنفاسها بخاراً  
يتكشف على أوراق الشجر وزجاج النوافذ ...

وقفت خلف النافذة أرمق الدرب ... لعلى أراك ..  
لم أدر سر القطرات المنزلقة أمام عيني ... أكان المطر ... أم هى  
الدموع ...

جفت كل الدموع فى ليل سابق! ... ولم تحف الأمطار ...  
ربما لأنى أحب الأمطار ...

أحببتها يوم زفت إلى البشرى! انتظرت طويلاً ... وكابدت  
الغربة والملل وعاشت الشجن تحرق جوفى بكل جفاف البرارى  
والقفار ... وبت أحلم بالمطر ...

عبر الأسوار أراك... مغلوله اليدين... مقيدة الخطى...  
أسيرة سجان أعمى... لكن القلب يطير...  
يخفق بجناحيّ عصفور... يفلت من ريق الأسوار...  
يمرق فوق غمام الأحزان...  
ينزع ريش الأوهام... يغتسل بنور الشمس...  
يتجدد كالعنقاء... وفوق السور الأزرق يهبط...  
يقفز نحوى...

فى صدرى يخفق عصفور آخر...  
هكذا كتب القدر المسطور...

سوف يكون...

رغم الأسوار... رغم فيافى البعد...  
سوف يكون..

يولد من رحم الإعصار.. طفل ربيع...  
يحبو فى مرج الصيف...

يقبل فى نفس الموعد... ذات مساء... ليكون لقاء..

كلمات من دفتر قديم:

الحب فى الأرض بعض من تخيلنا

لو لم نجده عليها لاخترعناه

«نزار قباني»

## سؤال ..

إلى أين؟...

لم يكن سؤالاً كان خوفاً أحسست به يرتجف فى نبرات  
الصوت التى تتظاهر بالشجاعة!

حاولت أن أكون بسيطاً... رتبت على الخصلة الرعناء التى  
تغالب نسمات الليل العابثة... وهمست...

لا تلق بالاً إلى الغد... فهو بظهر الغيب.. واليوم لنا!

أشاحت بوجهها غير راضية وكررت السؤال... فرفعت قناع  
الرجل البسيط ووضعت قناع الفيلسوف!

...سؤالك يحمل فى ثناياه الجواب!

وحالة «التساؤل» تضم فى أحشائها جنين التمرد... الذى

يولد كائناتاً من كائنات الغضب والعذاب! وينمو حتى ينفجر على نفسه .. ويتناثر شظايا تحرق كل مرافق الأمان!

... الأمان توأم السكون! السكون توأم العدم ... وأنا لا أبحث عن عدم ... أبحث عن حياة ...

التمعت عينها ببريق الغضب المشحون ... رفضت منطق الفيلسوف! .. خلعت قناع الفيلسوف! بحثت في جعبتي القديمة ... عثرت على قناع العاشق ... وضعت ... عاودتني ذكرى الليالي المترعة بالنشوة وتنسمت عطر الشرفات الصيفية ... خرج صرختي مترفاً ...

- لاتسأليني! فالسؤال مصرع العاشقين! دعينا نواصل الحلم بأحلام جديدة ، والحالم لا يسأل ... لا يؤرقه غير خوف اليقظة! الحالم لا يبحث عن غاية ولا يثير فضوله أن يعرف نهاية الطريق ...

سؤال العاشق مضیعة للوقت ... والوقت ضنين ... فلا تضيعي مسرات البداية بظلال النهاية البعيدة ... أعرف مثلك أن الحب تسرى عليه قوانین البشر ... يولد ... فيكبر ... فيشيب! ومثلما لا يدفن الإنسان لحظات العنفوان في خوف من الليل القادم ... علينا ألا نقتل «الآن» بالتساؤل عما يأتي بعده ...

مدت يدها ونزعت قناع العاشق وألقت به على الطريق تتفافز به رياح الشتاء تحت قطرات المطر!

مددت يدي أبحث ... لم أجد في اللعبة أقنعة أخرى! .. همست تلح في إصرار :

لامفر من الحقيقة! ...

أدركت أن اللحظة التي طاردتني طويلاً قد أمسكت بي ... استجمعت كل ما بقي لدى من شجاعة ... ونظرت إليها ...

- تسألين إلى أين؟ .. ومن أين لي أن أعرف؟ ..

إنني يا عزيزتي أفتقد بدهة الرجل البسيط .. ولا أمتلك حكمة الفلاسفة ولم أعد أجيد بلاغة العاشقين ... وليس عندي ما أجيب به على سؤالك ... صمتت ... شردت عينها ... تابعت سرياً من طيور المساء الراجعة إلى أعشاشها ... وهمست : هذه الطيور تعرف إجابة السؤال ..

أجل يا عزيزتي .. ولكنها لاتسأل!

كلمات من يوميات قديمة :

قد تخدع بعض الناس كل الوقت  
وقد تخدع كل الناس بعض الوقت  
ولكنك لن تستطيع أن تخدع كل  
الناس كل الوقت!

«حكمة غريبة»

تتحرك ببطء .. تتكاثف مع الضباب وبخار الماء ثم تنفصل عن كتلة  
الرماد المحمر فى خط الأفق ... تعبها شمس تغرب لأخر مرة ...

الثقل فى الأقدام المبتلة يرسل تياراً من برودة ثلجية تتسرب  
إلى الساقين فيشعر بانفصالهما عنه ... وعيناه مصلوبتان على  
الكتلة السوداء تخب فى عباب مضطرب ...

آه ...

كم من مرة وقف وانتظر ... حتى دخلت كل السفن ...  
وهبط منها كل المسافرين ..

ولم تعطه واحدة منهم زهرة ...

لعل زهرة الليلك هى التى تندر فى مواسم السفر ...

قليل له ... حين تأتى لا بد أن يصحبها برق ...

السماء رمادية ولكنها تخلو من ندفة سحب ... حتى تسأل  
من أين يهطل المطر ...

السماء لم تكن جبلى بغمام يطر ...

لعلها قطرات الندى تأتى بلا موعد ...! والطبيعة كثيراً ما  
تتمرد على السائد والمحتمل ... الطبيعة قد لا تكون هى نفسها ...

دبت الحركة فى الموجودات حوله ...

تسارعت أقدام كثيرة تهتك الصمت ... وسرى هسيس  
المطر ... تمسخه فى لحظات أصوات بشرية تنادى وتصرخ  
وتضحك وتتشاجر ..

## حين تأتى!

قليل له .. حين تأتى ... ستعطيك زهرة ...

... كان الموعد متوافقاً مع غياب الشمس ...

على الرصيف كان يقف رغم هطول المطر ... كان الرذاذ  
المتساقط ينقش مياه المرفأ بالآلاف النجوم المرتعشة ...

وتناهد من بعد قريب صفارة الوصول ...

كل الصفارات تتشابه ... الرحيل والوصول ... نحن فقط  
نترجمها فى الأعماق ... نغنى عند الوصول ونبكي عند  
الرحيل ...

وفى المرتين نعزف موسيقانا ...

لم يتلمس بعد تناغم الأصوات فى داخله ... كان ينتظر ...

كتلة ضباب تتقدم على شفاها المرفأ ...

وقد بدأ الدرج الممدود على الرصيف يهتز... ومن جوف...  
الباحرة تتسرب الوجوه... ترى أين هي؟

عرف أن القانون يحتم مجيئها على متن هذه الناقلة  
العملاقة...

دارت عيناه... تتفحصان كل من يعبر الدرج... قاطعت رؤيته  
مشاهد اللقاءات الحميمة ودموع الأشواق الطويلة...

تنفس بعمق لتتسرب إلى أنفه رائحة الزهرة...

تقترب مرتدية معطفاً رفعت ياقته حتى أخفى نصف الوجه...

في عروة المعطف كانت زهرة الليلك.. أقبلت... خفق قلبه  
حتى اختنق..

مرت به... لم تعطه الزهرة...

التفت خلفها... فلم يرها...

انتابه اليأس... فالمرعد هو الأخير... وبعده سيرحل إلى  
مرافئ أخرى... في أرض مجهولة.

كلمات من دفتر قديم:

الشجن... دمعة نهاية تنحدر

على حدود الذكريات لترسم

بسمه حنين لماض لا يعود.

## قبيل الفجر

لم يكن قد مضى على ذهابه للفراش ساعة أو بعض ساعة  
حين أيقظه رنين الهاتف... فتساءل في ضيق عن الطالب... كان  
صديقه..

- كنت في الساحل الشمالي اليوم... رحلة عمل...

- وماذا بعد؟..

- ألم تقل لي أن «س» قد سافرت إلى أسوان مع أبيها؟..

- أجل وقد طلبتني على الهاتف منذ ساعات قليلة...

- آسف.. لقد رأيتها اليوم في قرية الشمال... ولم تكن  
وحدها!...

... بقي راجماً لدقائق... وقد أحس بالك من نوع غريب في  
أحشائه.. كأن شيئاً قد انفجر بداخلها هو يعلم جيداً أن صديقه

لا يمكن أن يكذبه القول ... فهذا الصديق بالذات ليس ... أقرب  
أصدقائه إليه بل هو قبل هذا رجل مستقيم الشخصية لا يميل إلى  
الهذر ولغو القول ..

لم يستمر الجدل داخله طويلاً ... وبعد دقائق كان في  
سيارته ... يخرج من المدينة إلى الصحراء ... العلامات الضوئية  
على الطريق الأسود تومض متوهجة في عينيه .. والنعاس المنكسر  
في جفنه ينبض على إيقاعها ... وقدمه تضغط لا إرادياً على  
مغذى الوقود ... فتعرق السيارة كالسهم دون أن يحس بأى فارق  
في السرعة .. كان يريد أن يطير .. أن يصل إلى القرية قبل بزوغ  
الفجر ...

«لقد توافقت المعلومات فمن أسابيع جاءه من يهمس في أذنه  
بإشارات عن علاقة تتواطد بينها وبين مدير شركة السياحة التي  
تعمل بها ... وعبر عن احتقاره لما سمعه بإلقائه على مسامعها مع  
ضحكة استبعاد ساخر ... الآن فقط يتذكر كيف تورد وجهها  
للحظة ثم امتقع وكيف ارتعدت أرنبة أنفها .. تصور ساعتها أنها  
انفعالات غضب واستنكار ... الآن يوقن أنها علامات ارتباك  
وبغته .. هو ليس رجلاً مريضاً بالشك ولولا أن مكالمته الليلة جاءت  
من هذا الصديق بالذات لواصل نومه في استرخاء تام ...  
ولكن .. عليه الآن أن يعرف عن يقين» .

استعرض مع امتداد الطريق قصته معها بكل التفاصيل ...  
وضعها أمامه في مرآة السيارة وراح يحاسبها يذكرها بما فعله من  
أجلها ... وكيف رعاها ووقف بقوة إلى جانبها في كل الأزمات

التي مرت بها ... ويعيد على مسامعها كل ما قالته وهمست في  
أذنه حتى تصور أنه امتلكها كما لم يملك رجل امرأة من قبل ...  
ثم نحأها من عينيه وراح يجتر كل ما قرأه أو سمعه عن طبيعة  
حواء المتقلبة وأهواءها وجودها استشاط غضباً وزاد ضغطه على  
قدمه اليمنى حتى سمع زفير المحرك ...

سأل نفسه وهو يدير مقود السيارة إلى اليسار تاركاً مشارف  
الإسكندرية إلى يمينه . وكانت الغلالة البنفسجية الشفافة تطرح  
نفسها على المساحة الظاهرة من الربوة المطلّة على البحر ..

... ولم قبيل الفجر بالذات ؟ يمكنك أن تصل في أى وقت  
.. رد على نفسه .. كلا ... فربما كانت تخطط للسفر إلى أسوان  
من الإسكندرية فجراً لتثبت وجودها هناك ...

وواصل السؤال .. وماذا تفعل إذا واجهتها ؟ .. أنت لا ترتبط بها  
بغير رباط المشاعر والعواطف .. وواصل الرد ... أريد أن أعرف  
فقط لأحرر نفسي .

ووصل قبيل الفجر ... ورابط بسيارته عند مدخل القرية ...  
وجلس ينتظر ... لم يعرف أن النوم قد غلبه إلا حين لمستته تلك  
اليد في كتفه تهزه ليستيقظ ...

فتح عينيه ... وحملق في الوجه الذى انحنى فوقه ... وتسمر  
ذاهلاً ... بينما هتف الآخر ..

- ماذا أتى بك إلى هنا؟

- انتظر ... ألم تتصل بى من القاهرة فى منتصف ليلة الأمس؟

- كيف وأنت تعلم أنى هنا منذ عشرة أيام ولمدة شهر كامل ...

- إذا لم تكن أنت .. فمن يكون؟ ..

- ربما أراد أحدهم أن يداعبك ...

- أألم تر «س» هنا؟ ...

- بل سمعتها ... اتصلت بى هاتفياً من أسوان تشكوك

إلى ... ويبدولى أنها محقة ...

... فى طريقهما إلى الفندق ... كان يفكر جديداً فى أنه لو

نام ساعتين ثم سافر ... فإن يستطيع أن يصل إلى أسوان قبل  
الفجر .

كلمات من دفتر قديم :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه

وإن كنت من ليلى على اليأس طاويا

«قيس بن الملوح»

## أرانى!

أرانى وقد ولدت فجر ذاك اليوم فأخطو على جسر  
الاكتشاف ... وتبهر عيناى أضواء نجم قديم انفجر فى السديم منذ  
قرون ولكنه مازال يومض ... نبضاً فى رحم الكون بتهياً لميلاد  
جديد ..

وأرانى نائماً فى حضن ليلة قمراء ... تهددنى بين ذراعى  
فجر مطل ... تصطبغ جبهته بدم قرمذى يكرس المولود الذى يدرج  
مدارج الشباب المبكر ...

وأرانى قد لهثت جرياً وتصببت عرقاً وأنا أصعد التل ... تمتلئ  
الأوردة والشرابين بدم رجولة طافحة يمكنها أن تحملنى إلى القمة  
وعلى كاهلى أثقل الأحجار ...

أرانى أنشبت بخيوط شمس غاربة تتألق فى بوتقة الانصهار  
عند حافة الغسق ... يلتقى الساخن بالبارد ... فيتجمد ويتقلص

ويحول الجمرات إلى كرات من رماد مبلل ...

وأرى الدائرة مفتوحة ... لها طرفان ... لم تغلق بعد ... وكنت أحلم بصيرورة دائماً من خلال السباحة فى منحنى الدائرة ... حيث تلتحم النهاية الألفية ببداية وليدة ....

أخشى ما أخشاه أن تتوقف الحركة الختومة ولا تغلق الدائرة ... فحتماً سأسقط من أحد طرفيها ...

... أنا مصاب « بغوبيا » الخوف من السقوط ...

أحياناً أطل من شرفتى العالية ... وما إن نظرت إلى أسفل حتى هاجمنى الدوار واخترقننى رغبة مجنونة فى القفز إلى الشارع ... وفى اللحظة الأخيرة أتشبث بالسور الحديدى وأترجع إلى الخلف حتى أسقط على ظهري ... أكره الدوار والغشيان والأمور الوسط والبين بين ...

أنشد عالماً من الصدق .. وإن شوه الصدق كل الوجوه ...

أرنب إلى زمن قد لا يأتى ... ولكنه يتحقق فى احتمالات الإمكان ... لحظة شرود منفصلة عن حكم الميقات ...

زمن يحتفل بالذكرى السنوية لانقراض آخر المخلوقات الطيبة التى أذابت شمع الأجنتة تحت الشمس فذقت أعناقها ...

أضع صورتي فى إطار على الحافة الرخامية للمدفأة فى الشتاء ... وأسقط عليها حزمة من ضوء أزرق .. ولكنى لا أنظر إليها ... فأنأ أعرف الملامح وأملها وأحياناً أكرهها ...

وغداً سأقيم حفلاً لإزاحة الستار عن تحفتى الكبرى ... أرى من الآن صوراً مستقبلية لنظرات العيون تلمع بالحسد ... وناهيات الصدور وهى تنفث غلاً ... أرى ابتسامة وحيدة تصفق وتطرب وتذرف دمع الانهار ...

ابتسامتك أنت ... حين أزيح الستار ... وتطل عيناكى لتضىء الغبش الليلي ...

أرأى هناك معلقاً بين جفتيك ... متوسداً وجنتيك ...

أرأى فى عينيك بارقاً من نور ...

أرأى فيك ... أرأى أنت ...

أنظر فى المرأة ... أرى الدائرة ... يتحرك طرفاها ... يقتربان ... يلتقيان ... تغلق الدائرة ... وأغلق عيني .

كلمات من دفتر قديم :

لتعرف كيف تحب يجب أن تعرف كيف تكره ...

فكرامية الشر .. تعلمنا حب الخير ...

أمامه أبو الهول يسأله المفلز وأسواره المطلسة ... ولأنى صاحب  
السؤال فقط خطوط ... ابتسم لى أبو الهول وألقى السؤال ...  
وهو يأمر بفتح الأبواب ...

ولكننى نسيت الجواب ...

لم أستطع دخول المدينة ... ورحلت ... كان الطريق طويلاً ...  
وكننت حافى القدمين ... أميال ، وأميال ، من الصخر المسنون ...  
أنشبت مخالبها فى لحمى ... فكتبت بالدم سطور غربتى ...

أفلتت الغربية من حساب الزمن فلم تنته تجسدت «مكاناً»  
فأصبحت هى العالم ... أجوبه من أطرافه الأربع لأجده كلما  
فررت منه! يثست من البحث عن نهاية كما نسيت البداية فدرت  
مع الدائرة ... واستسلمت لقدرى ...

رسمنى قدرى فارساً لعابرى السبيل! باركنى ... ولس بسيفه  
كتفى وأمرنى :

- امض وإياك والسؤال عن المصير! ..

لم أسأل .. ولم يكن رجلي بحثاً عن مصير ...

كان بحثاً عن رفقة ... عن دفء مخبوء فى قلب وحيد ...

عن زهرة تشق الصخر فى عرض الطريق ...

والطريق يصعد إلى ذروة يغطيها الثلج وتعصف بها الرياح ...  
ولم يعد على كتفى دثار ... وتمزق الثوب القديم ...

رثت غلالات الصيف وموسم الأمطار يحلق فى الأفق ...  
وقريباً يأتى ... ولم يعد لى ما أخفى به عربى ...

## غربة

اليوم عدت وحدى! ...

لم يكن لى متاع ... وانمحت من ساعتى كل الأرقام ...  
وانكسرت العقارب ...

فقط .. كان المكان! تعرفينه ...

نفس الشرفة ... نفس البحر ... ونفس الركن الذى شهد  
الأمسيات وأبلى خيوطها فجراً ... وأبهتها عند طلوع النهار ...

هنا تحول الزمن إلى مكان ... تشكلت الألوان على جدار  
اللحظة ... فحولتها إلى أثر من حجر منقوش وأبقتها وشماً لاتراه  
إلا عينائى! ... وكانت اللحظة قد أصبحت سفيراً ملوناً بألوان  
الذكريات ...

بنت الذكريات مدينتها فى القلب وجعلت للمدينة باباً يربض

لم يبق غير الهزيمة... فعابر السبيل لا يملك سيفاً... والملاح  
الشارد أضاع سفينة!...

واليوم عدت وحدى!... أكفكف الدمع وألق الجراح...  
عدت ولا شيء بكفى غير قبض الريح... ونثار من غبار السفر.  
لم تكونى هناك...  
فقط كان المكان...

بالنظرة واللمسة يضحج بالذكرى... يمر بالحياة... يعود الزمن  
ليسكنه...

تعود اللحظة نبضاً فى الجماد...

أراكى وأرى التجمعات فى عينيك... وأسمعك، فى القبرة  
والشحرور والكروان...  
أستعيد الرفقة الدافئة...

لا أعبا بالوهم... لا أخشى السراب...

أشعر تماماً أنتى لم أعد وحيداً... فالمكان «معى»...  
والمكان حقيقة...

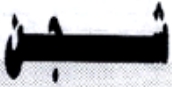
وحيث يكون للمسافر مكان... لا تكون غربة.

كلمات من دفتر قديم:

الشجاعة بلا ذكاء: حماقة

والذكاء بلا شجاعة: حكمة

«كوفنو شيوس»



فى الصيف كان الدرب ظليلاً... رغم شمس حزينان  
المتوهجة... وبقع الضوء والظل تترامى... متناثرة على الممشى  
حيث كنا نسير بخطوات الدفء النشوانة... إيقاعات الخطو  
تغنى... ترقص... تهزج على أوتار القيثارة المشدود...

وكان العطر يتماوج فى نسيمات كسول... يتشاقل...  
يتلكأ... يتكثف بنضج الزهور التى تفتحت فى ربيع سابق...

لهبت الأحاسيس الخجلى... تتأفز نبضها... تدفقت فى الشرايين  
رحيقاً من شهد وردى ارتشفناه قطرة قطرة... جرعه سيلاً... فاض  
من أشداقنا... بلبل صلوتنا... تبخر عليها... صعد راذاً لزجاً...  
وتضبيب فى سماء تموز... وسماء تموز لم تكن زرقاء...

... كانت ترتدى غلالة موهة... ترقد بها وسنانة على  
حافة البحر...

وبحر تموز لم يكن أزرقاً!...

كان يغلى بتيارات العمق فيلفظ رماله وأعشابه الطحلبية  
الحمراء ...

لم يكن وحده! العالم كله كان يفور ... كان يضح ... ويعزف  
موسيقاه على آلات النفخ النحاسية يضبطها إيقاع أفريقى ...  
أمازونى ...

كان اللحن «خلاسيًا» ... كصرخة بحار زنجى يغنى لغادة  
شعراء فى حافة منسية على شاطئ «الكاريبى» ...

كان موسماً للحب الساخن والأحلام المرسومة وشمأ على  
السواعد والصدور ... كان حياة ...

تحبها .. تكرهها ... تتناغم معها ... أو تتنافر ... لا فرق  
هناك لأنك تحياها ...

أحدثك أيها الهامس فى صدرى وقد أمسى «أيلول» يللملم آخر  
أنفاس الصيف ... تاركاً على سور الشرفة زهرة ذابلة الخواف وسلة  
كرم خاوية ... وكأس به قطرة ... وفنديل به بقايا شمعة ...  
وقيثار وحيد الوتر ...

وغصة «تشرين» تلمس شغافك ...

لمسة من مخمل رمادى تهدهد مكنم دمع فى الأحداق ...

أصبحت الأهازيج الصيفية الصاخبة ... مجرد رجع  
للصدى ... وقطرات الندى الدافئة ذرات ثلجية ...

أضحت لقاءات الليالى بعضها من ذكريات ... سطوراً من

حكايا بلل الدمع وريقاتها فانطمست الحروف وبهتت الكلمات ...

أقبل موسم البحث عن «سلوان» ...

... لانسيان ! ...

البحر عاد أزرق ... والسماء خلعت غلالات الضباب  
الحريرية ..

لم يبق إلا الرواد ... عيداناً من الظلال تتقاطع على الدرب مع  
خيوط المغيب ..

ورعشة خطوات وحيدة تدرج على الشرفة المهجورة ...

ورجفة دمع تهفو إلى لقاء ...

ودغدغة الحنين فى قلب مرهق الصبوات ...

... وعلى الوتر الباقي فى القيثارة ... تتلمس أصابعى أصداء  
الأغنية القديمة ... يغمرنى الحزن ...

أغص بالأحزان ...

أبحث عن عود نقاب ...

أشعل العود الأخير ... أوقد بقايا الشمعة فى القنديل ...  
أمسح ببدى تلك الدمعة حتى لا تطفئ ذبالة المصباح ...

كلمات من دفتر قديم :

الحقيقة تبدأ بحلم ... والحلم يبدأ

بعيون مقمضة ... لهذا فنحن نحلم

بالحقيقة ولانراها!

- لا أحدا .. أجب هو ... خشى أن تعاود السؤال ولكنها لم  
يهتم ... راح يتابع من رآه على الضفة الأخرى من الطريق ...  
ولحة وهو يدخل المقهى الكبير على ناحية التقاطع ... تملكته رغبة  
قهريّة في اللحاق به! ... التفت لزوجته ...

- أسرعى قبل النور الأخضر ... وقودى أنت السيارة واذهبى  
إليهم ... وسألتك بكم قبل موعد العشاء ...

وقبل أن تجد الفرصة للاحتجاج أو التساؤل فتح الباب المجاور  
وانزلق إلى الطريق! انبثق النور الأخضر ... وتعالّت خلفها  
صرخات أجهزة التنبيه من السيارات التى وقفت خلفها ... كانت  
قد أتمت الوصول إلى مقعد القيادة ... وانطلقت وهى تفرغ ضيقها  
وغيظها فى كلمات لم يسمعها أحد ...

... عند النافذة العريضة للمقهى وجده هناك ... وحده ...

اقترب منه حتى وقف عند حافة المائدة ...

- أخيراً وجدتك! ...

رفع الآخر رأسه وشمله بنظرة استغراب باردة:

- عفواً ... أتعرفنى؟ ...

- لعلك لم تنس ... أنا رفيق رحلتك بالقطار ذلك اليوم منذ

خمس أعوام ..

- أسف .. أراك تخلط بينى وبين شخص يشبهنى ...

- كلا ... أنت هو ... صورتك المنطبعة فى عيني لم تتغير ...

**طينا!**

اصفر الضوء للحظة ثم احمر ...

توقفت السيارة على حافة الخط الأبيض ... وانساب عبر  
التقاطع رتل من السيارات يتدافع أمام ناظريه ...

مال برأسه نحو زوجته دون أن ينظر إليها وهمهم بضيق:

- إشارة طويلة! لن نلحق بموعدا ...

وبنفس اللهجة الروتينية التى ظل يسمعها طوال زواجهما ...  
همست!

- لا تقلق ... سينظروننا! ..

لم يعقب وشغل نفسه بتأمل المارة المهرولين فى ممر المشاة ..  
وفجأة تصلب فى مكانه وقد انتبهت كل حواسه ... أنه هو ...

- من؟ ... قالت الزوجة! ...

قال مهرنا عليه : ربما ولكنى لا أنذكرك!

جلس أمامه وراح يحدثه بتدفق حار :

- إذا فساذكرك! .. كنا نجلس متجاورين وجاء مفتش القطار .. واكتشفت ساعتها أن حافظتى قد ضاعت منى وبها تذكرة الركوب وكل ما معنى من نقود ...

- تحدث أمثال هذه المفارقات لأناس كثيرين ...

- ولكنك تكرمتم يومها فدفعت عنى قيمة التذكرة والغرامة ...

- إذا فقد أتيت عملاً طيباً فى حياتى المليئة بالأخطاء! ... ولكنى مع ذلك .. لا أذكرك!

- محال ... فقد أعطيتك بطاقتى .. وظللنا تتجاذب الحديث طوال السفر! ..

- سيدى : هناك دليل لا ينقض على أنك تحسبنى شخصاً آخر ... فانا لا أحب السفر بالقطار ولم أركبه منذ كنت طفلاً! ..

أحس بالدماء تصعد إلى رأسه ... واحتار بين إحساس بالخشجل وإحساس آخر أكثر مرارة يومه بأن الرجل يستخر منه لينذه ... أو يعيث به ...

أخرج من جيبه النقود وألقاها على المائدة ...

- أنا لا أشك لحظة فى قوة ذاكرتى! وأيا كانت أسباب إنكارك فهامى نقودك ولست مديناً لك بشيء ..

- أنت رجل مخبول! ..

- وأنت صقيق ...

- هاهى نقودك ...

أزاح الآخر النقود بحركة احتقار ... فسقطت على الأرض وفقد هو أعصابه ... وهناك سألته زوجته : ماذا حدث لعينك ...

رفض أن يجيب ... ولم تكرر هى السؤال .

كلمات من دفتر قديم :

تصدق دموع المرأة إذا أحبت ...

ويكذب الرجل إذا أقسم لها ..

أنه يصدق هذه الدموع ...

لهب... أو نزيهاً لكل مظاهر الحياة... أو لعله كل ذلك فى حالة  
واحدة... ربما خيل إليك أنه قد انفجر ثائراً أو حطم الاقتراح أو  
صب على جام غضبه ولعناته! ..  
- أو لم يفعل؟ ..

- ظل مكانه صامتاً... شاحباً... لا ينبى عما بداخله غير  
شعاع من بريق ينبعث من عينيه كوميضة برق تخرق السحب  
الجاثمة فى ليلة شتاء عاصفة... وطفقت أسأله عما به...  
وأندقق أمامه قلقاً ولهفة... وظل يرمقنى بتلك النظرة التى  
تغوص فى صدرى كالسكين... وأخيراً... تكلم... خرج صوته  
برنينه الأجوف كمن يتحدث من بشر لا قرار له: «لماذا كذبت  
على؟»... ولحظتها سقطت كل أحجار الدنيا فى أعماقى...  
أدركت ألا جدوى من الإنكار... وأنه قد عرف... فقد كان ما  
عرفه مسطوراً فى نظراته... مرتجفاً مع ذبذبات صوته...  
- وماذا فعلت؟ ..

- وماذا كان بوسعى أن أفعل؟... انههرت باكياً... كنت  
أعرف أن دموى تجرده من كل أسلحته وتحول لحظات قوته إلى  
استسلام كامل... ولكنه لم يعبأ... ظل ينظر إلى نفس  
الطريقة... لم تزد فى نظراته إلا التمعاعات ساخرة حولت دموى  
إلى قطرات من ثلج... جربت حيلتى الأخرى فشئت عليه  
وصارحته بأن ما كان فى الماضى قبل أن أعرفه لا يخصه فى شيء  
ولا يحق له أن يحاسبنى عليه...

- منطق لأمراء فيه... ولا بد أنه أفحمه؟ ..

- زادت قسوة السخرية فى نظراته وقال: «لا يخصنى ولا يحق لى

## كاتب

نظرت إلى العلبة الملفوفة بالورق المزركش... ثم إلى الرسالة  
المرفقة... وابتسمت لنفسها... فقد ربحت الرهان...

كان الرهان بينها وبين صديقتها بالأمس... حين هزعت إليها  
تسرد لها وقائع اللقاء العاصف بينها وبينه...

- لقد عرف كل شيء!... لا أعرف من أخبره!... توسلت إليه  
كى يخبرنى ولكنه رفض واتهمنى بأنى أحاول أن أهرب من  
المواجهة إلى مسالك فرعية.

- لعل الحق معه... فليس المهم فعلاً من قال... ولكن... ماذا قيل!..  
- وهكذا كان... لقد عرف...

- كان غاضباً؟ ..

- كلا... ما به لم يكن غضباً... كان شيئاً رهيباً لا أجد  
كلمة تعبر عن حقيقته... كان انسحاقاً... أو اشتعالاً بلا

مطالبتك بحساب عنه... ولكن لا يد أن أعرفه... ومنك...  
لأن ماضيكي جزء منك مثل حاضرك... ومن حقى أن أعرفك  
كاملة... فلست أحب نصفك دون النصف الآخر»...

- وهذا أيضاً منطقاً..

ولكنى نهضت غاضبة وتركته بعد أن أعلنته أننى أرفض شكه  
واعتبره إهانة لا تغتفر..

- لقد أخطأت... وأعتقد أنك قد فقدته!.

- بل فعلت الصواب... فأنا أعرف قدر حبه لى... وأعرف  
أسلوبه فى استرضائى... وسترين... سيرسل لى هديه..  
ورسالة اعتذار....

أمام صديقتها وبنشوة الانتصار... فضت غلاف العلبة...  
ومظروف الرسالة... أما العلبة فقد كانت تحوى وردة حمراء...  
وفى الرسالة... كلمات قليلة:

«كيف احمرت الوردة؟... وداعاً...».

عرفت فيما بعد أن الورد كان كله أبيض اللون... وأحب البلب  
وردة... أشفق عليها من الزبول فى ليل الشتاء البارد فضمها بين  
جناحيه... فغرست أشواكها فى لحمه حتى امتصت كل دمانه  
لتدفعها... وفى الصباح... كانت الوردة حمراء... وكان البلب  
صريعاً...!... هكذا احمرت الوردة... ومات الحب.

كلمات من دفتر قديم:

«لا تقاتل معارك الآخرين وغريمك ينتظر أمام بيتك».

«كونفوشيوس»

## مصفور!

رأه لأول مرة ذات مساء!..

كان الكون قد غرق فى التماعه الرماد الخادعة!.. فبدأ كشبح ألقته  
الأمواج... من جوف أسطورة منسية غرقت فى لجة قديمة!...

توقف عند السور الحجرى وراح يحملق فيه... كان يتراقص عند  
مرمى الأمواج... طيفاً شفافاً... كان يرى من خلاله مياه البحر  
تتلاها وتنثر حولها دوائر الفضة المتوترة تحت أشعة الشمس الغاربة...

فرك عينيه (ربما كان وهماً... أو شيئاً كالسراب)... أحس  
بحتمية نفسية تدفعه لأن يقترب... فاقترب... ولكنه جرى  
هارباً... لم يخطف... كان طيفه يعدو فوق الرمال الميتلة ويترك  
آثار أقدامه الخافية لتتجمع فيها مياه الموجة الراجعة...

... ربما خيل إليه... فالوحدة... والأحزان... تخلق أنواعاً  
من المرنبيات قد «لا تتحقق» ولكنها «ترى»!..

عاد من حيث أتى... وانكب على ليلته يراوغ ذكرياته ويحاول  
أن يدفنها في عمق الفراغ... وبينما كان يمارس لعبته سمع  
الدقات... قريبه... على زجاج الشرفة المجاورة... والتفت...  
كانت هناك...

عينان تلمعان في الظلمة الساجية كقطعتي ماس تبرقان على  
اتساع محجريهما بنظرة ماجنة... وتحتهما ذلك الأنف الأفطس  
الذي ضاع من ذاكرته كما ضاعت كل ملامح الماضي - وتحته  
كانت شفتان منفرجتان عن ابتسامة! لا... بل ضحكة تملأ  
الأشداق... وإيماءة من رأس نحيل يعلوه ويحيطه شعر غزير...  
هرع للأبواب يفتحها... لكن الطيف كان يجرى... ويشير له  
ليتبعة...

على الرمال مرة أخرى... وفي ضوء قمر مكتمل... راح  
يواصل رقصته... وفي يده هذه المرة مزمار ينفخ فيه...

تخرج تلك الأنغام لتحمله إلى بلد بعيد... بلد كان كثيرا ما  
يراود أحلامه حين كان طفلاً... (ساحرات الغابة القصصيات  
يلبسن طرايطر مطرزة بالنجوم ويحملن وجوه أطفال مكتنزة نضحك  
في براءة حنون)...

ارتجف بنشوة عارمة تخللت مسام جسده فاستلقى مخدراً على  
الرمال وراح يتابع بلهفة عرض شبحة الراقص... وتناهت إلى  
سمعه نبرات أمه تقص عليه حكايا الأميرات والشنطار وتمد بيدها  
الباردة على جبينه الملهب...

- ثم يا ولدي كي تلحق بالعرس الموعود! ...

تكسرت الرؤى تحت أجفانه المطبقة وانتظمت أنفاسه...  
و... في الصباح أيقظته أشعة شمس تدغدغ عينيه... ففتحهما  
ليرى الشاطئ كما كان... خالياً... تصفر في فضائه ريح خريفية  
عابثة....

تلقت يبحث عنه... ولكنه لم يكن هناك.... ولأول وهلة  
تصور أنه كان يحلم...

فكرة الحلم تبدو بعيدة... بل كانت مستحيلة... فقد وجد  
على الرمال بجواره ذلك المزمار... مد أصابع ترعشها الرهبة...  
لمس الجسم الأسطواني النحيل... كان الندى أو رذاذ الموج  
يبلله... وبرق أمسك به... تأمله... أداره بين أصابعه... ثم  
رفعه إلى شفثيه...

تنفس بعمق ثم رد زفيره إلى المزمار... لم يسمع شيئاً...  
ظل طوال يومه يحاول أن ينطق المزمار... ولم يفلح...

فقط حين مالت الشمس ثم سقطت خلف الأفق... خرجت  
نغمة طويلة حزينة... طفرت الدموع من عينيه...  
وغشيت عينيه غلالة تترجرج...

ومن خلالها عاد الشبح... يتقافز فوق الأمواج... ويمد إليه  
يديه...

ألقي نحوه بالمزمار... فالتقطه... وضعه بين شفثيه...  
تحولتا إلى منقار... رفرف بزراعيه... تحولتا إلى جناحين...  
وعلى كتفه حط العصفور...

لؤلؤتى سر فى صدر الأندار! ضاعت منى يوما حين لهوت  
بقطعة زجاج هش!

لم أعرف أن اللؤلؤ يسكن فى الأعماق... وأن الشيطان  
المهجورة لا تحمل غير بقايا العشاق!  
والعشق تيمة أيامى!...

أيامى طافت بكل فيانى الأرض المجهولة عاشت كل حكايا  
الأمس... رشفت كل كنوس الصبر... غزلت كل شبك  
الصيد... لكنها لم تعثر يوماً على لؤلؤتى المفقودة..  
... هاقد عادت ...

همس الصوت! ..

عزفت فى الآفاق البعيدة أوتاره قيثار أرعن... من كل زوايا  
الكون هتفت أصوات «الكورال» .

هاقد عادت... هاقد عادت...

حدثنى الهاتف فى صدرى : لمن هى عائدة؟

عائدة لى! ..

صرخت بها فترددت الأصداء كطبول الحرب! ..

ليست حرباً يا أسرته! .. ليست إلا ضربات القلب!  
تخفق... تخلق ألف حياة... تنبت فى الأرض المعطشى عوداً  
من ربحان أخضر... يزهر فى ظلمات الليل... يشمر لؤلؤة  
بيضاء....

## عائدة

من نافذة الصدفة جاءت... أطلت... فى أحضانها يبرغ قمر  
صيفى... على جبينها تبرق نجمات فجرية... وفى شعرها  
يتدفق نهر ليلى..

همس الصوت بداخلى : ها قد عادت..!

أسكت الصوت بنبرة احتجاج...

- العائد كى يعود... يجب أولاً أن يذهب! .. وهى لم  
تذهب... لم تكن قبل اللحظة!

ونظرت إليها!... كأنى أنظر للمرة الألف... كأنى أبجرت  
بزورقى فى هذا البحر طوال العمر...

عينها بحر حنان صاخب! وفى أعماقها طفل يبحث عن  
صدفة... يغوص حتى القاع... ينبش فى رمل الأغوار...  
والصدفة يحملها التيار...

يشرق فوق البحر نهار ... نشهده عند السور الأزرق ... غداً  
بالكفين شعاع الشمس الخجلى ذات صباح ... نغسل  
وجهينا ...

لكن السفن المارة تطلق صفارات الرحيل ... يفزعنى  
الصوت ... أذفن رأسى فى خصلات الشعر ...

تهمس فى أذنى : سأعود ...

أمسك بصحيفتى الصباحية ... أقرأ طالعى ...

نجوم اليوم تقول ... اليوم فراق ...

اليوم رحيل قد سطر فى الأفلاك ...

وغداً تتوارى لؤلؤتك فى صدفة ... الصدفة ترحل ... تغتسل  
بماء الأعماق ثم تعود ... تطرحها الأمواج بين يديك ... تسألك  
كلمات السر ... أعرفها ...

أهمس فى أذن البحر ... بالاسم المسحور ... ينهزم الطلسم ...

أكتب على الرمال طالعى ...

أنا أنتظر ... وهى عائدة!

كلمات من يوميات قديمة :

يا لائى فى هواه والهوى قدر

لوشفك الوجد لم تمزل ولم تلم

«أحمد شوقى»

## وعدا!

أكان وعداً؟ ...

أم كان بعضاً من سراب؟ ..

يوهم الصادى نفسه بأن الصحراء قد هطلت بها الأمطار فأينعت  
قفارها وارتوت رمالها من قطر الحياة فاخضرت وأنبئت زهورها ...  
وتلوح له جنة موعودة تبدى مفاتنها وتدعو الظامن كى يروى  
غلتة ... والجائح كى يقيم أوده ... والتائه الرحال كى يلقي  
عصاه ... ويجرى الواهم إلى جنته ...

تتدفق فى شرايينه دماء الأمل البارق فى المدى ... فينضو عنه  
أكفان يأسه ليولد من جديد ويحبو بقوة الميلاد إلى درب الفردوس  
المائل عند الأفق! ...

... يحبو ولا يصل ... يدعو ولا يجاب ... وتظل الرحلة بلا

نهاية ... كحكاية المهد تبدأ فى ليلة وتكرر كل ليلة ... أو  
كحكايا شهر زاد ... تغزل من الخيوط خيوطا لتتصل عبر ألف  
ليلة ... أو ألف عام ... تنسج أحلام السندباد وأساطير العشاق  
والندمان فى ليالى بغداد ...

تلك كانت رحلتى ... وكنت أنت الميعاد .

كأنما عشت عمرى أبحت عنك فى صحراء ... حين يشق بى  
المسير وأجشو على رمال الجمر وأكاد أسلم رأسى لصدر الأقدار  
الصخرية وأغمض عيني على ملح الانتظار ... تبرق بين أهدا بى  
لمعة السراب ...

وكنت أنت هناك ... جنة الوهم الجميل ...

جئت فى لحظة اليأس على محفة ليل قدرى أفلت من حساب  
الزمن الصارم وأنبت لى فى قلب الفجر زنبقة بيضاء ...

رأيتها ذات صباح ... تتوسد حلمى عند السور ... فاختفت  
الصحراء ...

... أبينت الواحة حولى وتدفق فيها نهر ضياء ... ألقيت بحلمى  
المكدود على صدرك ... هدهت سنين العمر الضائع على مرجك ...

وبين يديك نثرت غيومى الخبوءة فى صدرى ... شذر من قلب  
لم يعرف يوماً - قبل اليوم - كيف يكون العشق مصيراً ... قدراً أو  
سقطراً يختم كل سطور العمر!

مددت يدى ... فتحت كفى ... طلبت من العرافة أن تقرأ ...

قالت كفك لا يقرأ ... لكننى أقرأ عينيك ...

فى قلب النظرة تقطن صاحبة الوعد ... قد تعطى الجنة لو  
شاءت ... أو تعطى الوهم ...

أغمض عينيك طويلاً واحلم بالفردوس!

أطبقت جنونى ... وكنت هناك ....

أعرف تلك البسمة على شفتيك ... أقرأ فيها كل نبوءات العرافة ...

واسمع تلك الكلمات ...

- كم من أعوامك عشت طريد الفردوس المفقود؟ ..

قلت ثلاثاً ...

قالت تكذب ...

قلت كثيراً ...

قالت تهرب ...

قلت لعلنى لا أعرف!

قالت تعرف ...

.....

هى لم تعرف أن وعداً قد بذلت للظامع والجائع والثائه فى  
البداء ... ليس لكى تتحقق ... ولكن ... فقط لكى يواصل المسير ...

كلمات من دفتر قديم :

سألنى : المرأة متى تحب؟

أجبت : حين لا تجد ما تفعله!

يقين الحب يساوى كل الاحتمالات! .. والظل تخالطه الأشياء ...  
لم أعرف أيكما الظل وأيكما القابض على كنه الجوهر والمتحول  
فى الأشياء ...

لم أسأل ... ولعلى أفعل بعد فوات الوقت ... فأخطو فوق  
خطوط الحذر الحمراء ...

وتلك خطوط تعرفنى ... تعرف خطوة أقدامى ...  
تعشقها ... تدمنها ...

وأنا أرسف فى الأغلال العمياء ... أعشق حتى عشاقى ...  
لا أندم لحظة ... لا أنظر خلفى ... لا أبكى على اللبن  
المسكوب ... لا أرثى فردوسى الضائع ...

أقبل كل الأخطار ... أدفع جزية ما أختار ...  
أشرع صدرى للأقدار ... أحمل تبعه أخطائى ...  
قد تلدغنى لدغة غدر ... أو تلفحنى هبة نار ... قد يرهقنى  
طول السير ..

لكنى لا أطلب عفواً ... لا أتلو ورد استغفارى ...  
لن أسأل ظلك ماذا يقول!! فانا أعرف!  
أعرف أن الماضى يكبح خطو الحاضر ... يلقي فوق الدرب  
بكل الأحجار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

... والظل تخالطه الأشياء ...  
لم أعرف أيكما الظل وأيكما القابض على كنه الجوهر والمتحول  
فى الأشياء ...

لم أسأل ... ولعلى أفعل بعد فوات الوقت ... فأخطو فوق  
خطوط الحذر الحمراء ...

وتلك خطوط تعرفنى ... تعرف خطوة أقدامى ...  
تعشقها ... تدمنها ...

وأنا أرسف فى الأغلال العمياء ... أعشق حتى عشاقى ...  
لا أندم لحظة ... لا أنظر خلفى ... لا أبكى على اللبن  
المسكوب ... لا أرثى فردوسى الضائع ...

أقبل كل الأخطار ... أدفع جزية ما أختار ...  
أشرع صدرى للأقدار ... أحمل تبعه أخطائى ...  
قد تلدغنى لدغة غدر ... أو تلفحنى هبة نار ... قد يرهقنى  
طول السير ..

لكنى لا أطلب عفواً ... لا أتلو ورد استغفارى ...  
لن أسأل ظلك ماذا يقول!! فانا أعرف!  
أعرف أن الماضى يكبح خطو الحاضر ... يلقي فوق الدرب  
بكل الأحجار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

يرمى ظلال الليل القائم فوق شعاع الشمس القادم ... ذات نهار ..  
يرجولو يغمض عيني ...  
أو يسدل حول القلب ستار ...

لكنى أركل كل الأحجار... وأمدّ يدي لأمزق كل الأستار...  
 لن أعطى ظلك عيناى... لنأخذك عيناى...  
 هما لا يريان سوى عينك... وعيناكى ليست اعينا الظل...  
 عيناكى طريق... أرحل عبره صوب المرفأ...  
 والمرفأ يحتضن الزورق... يغسله تحت الأمطار... يرسم فوق  
 الدفة نجمة... يرشق بالصارى زهرة... يكسر فوق شراعينا قنينة  
 عطر... ولنبحر...  
 فالبحر حفى بالعشاق!... يحمل فوق الموج سفينا  
 للأشواق... يرحل حتى يرسو فى الجذر العذراء...  
 لكن البحر وليد يقتات على الأحلام... يوسدها صدر  
 الغد... ينسيها خوف الأنواء...  
 البحر يقين يكره ظل الشك...  
 يكره أى ظلال... يعطى سر شواطئه المسحورة للنسيان...  
 فلننسى...  
 فلننسى حكايا الأمس...  
 ولنخطو نحو المرفأ... ننتظر الإبحار...  
 كلمات من دفتر قديم:  
 التفاحة كشفت لإسحق نيوتن الجاذبية الأرضية  
 وكشفت لأدم جاذبية من نوع آخر  
 فماهى؟

## سوار

كان عيون الدهر قد أغفت لحظة من زمان...! وكان الزمن نفسه  
 قد أراح رأسه إلى صدر ساعاته الوسنانة...  
 كانت غفلة... أو كانت حلماً تجسد فى غفوة...  
 أعرف أنتى لم أكن نائماً... ولكننى ربما كنت أحلم... أو لعلنى  
 لم أفهم لغة ما رأيت عيناى... فقد رأيتها... كانت هناك...  
 عند منحنى الطريق الدائر حول البحر... حيث تراجعت  
 السنون فى ومضة برق لم تجهضها شمس النهار... وانعكست  
 ألوان الشفق الوردية على الجبين الأسمر... لتمتزج الحنطة  
 الذهبية بذوب شراب الورد القرمزى... لون عرفته واصطبغت به  
 سنوات فجرى القديم...  
 اختلجت فى الصدر رفة جناح... وخفقة جرح لم تقو عليه  
 الأيام...

ما زال الجرح طفلاً يلهو بقطرات الدم ويرسم بها على جدار  
القلب سهماً يخترق الشغاف... وقادتني الخطى كأسير حرب  
لا يملك الطريق... ولا يختار الاتجاه...

كنت أخشى الاقتراب! فاقتربت!...

صار البعد خطوة... ربما لم تكن كافية لتنتزعها من رحلة  
شاردة في عمق البحر....

لم تلتفت حتى همست باسمها... أيقظها صوتي المرتجف  
بذبذبات طالما تهددت في أذنيها... فدارت نحوي وهي تهمس  
باسمي قبل أن تراني...

( روت شهر زاد في ليلة من ألف ليلة : وحين نظرت إليه ونظر  
إليها أورتته النظرة ألف حسرة ) ..

وما كان بي حين نظرت إلى تلك الحسرة... فلم تكن النظرة نظرة...  
كانت ذلك النبع الأخضر الذي اشتعل ربيعاً فأفصح مواسم  
العشق في بيادر الصبا... وصهر السهام على حروف اسمها ليذمغ  
بمسماها جبين العمر...

وعلى جبينى قرأت الحروف... فأفتر ثغرها بكرزتيه عن بسمه  
حواء المنتشية... وزغردت نبرات صوتها:

- كيف جمعت بك خيول الأيام؟ ..

- وكيف اعتقلت أنت السنين؟ ..

- لعلك ترانى بعيون الأمس البعيد!

- وهل تريننى أنت بنفس العيون؟ ..

- عرفت صوتك أولاً...

- كأنك لم ترينى! ..

- أنا لا أرى سواك... وأعرف يوماً بعد يوم... بل أعرف كل  
يوم... ماذا أضاف الزمن إليك... لذا أراك كما أنت اليوم...  
وكان الدهر لم يفصل بيننا وكأنى لم أبرح تلك اللحظة التي  
جمعتنا... هذا أنا... فماذا عنك؟ ..

... نكست رأسى ولم أجد ما أقول...

تبدت حمرة الشفق... وأطل علينا المساء... وانسكبت  
خضرة عينيها على رماد البحر...

وتماوجت سمرة الذهب على جبينها الذى بلله رذاذ الزيد...

ومددت يدي أمسح قطرات الملح...

مست أناملنى خصلات الكستناء تعابشها الريح... فألقيت  
عليها السؤال...

- لملك حلم! ..

- وهل كنت يوماً غير ذاك؟ ..

- كأنك صنيعة وهمى؟ ..

- وبغير وهمك لا أكون...

أنقل الكرى جفنا شهريار... فأطبق عينيهِ على الحلم...  
حيث واصلت شهر زاد أوهامها المحكية...

كلمات من دفتر قدم:

يكذب الرجل أحياناً ليتخلص من مأزق  
وتكذب المرأة دائماً لكى تقع فى نفس المأزق.

كانت تحتزل المساة ... تنفجر اللحظة ذات مساء ... فتضيء  
الليل بألوان الفجر الموعود ... تطوينا غلالات الوهم الرافص حول  
المصباح ...

في الرقصة نرحل عبر الآفاق! نهفولزمان آخر ... نرنو  
لصباح ...

تنسى الأغلال المرصودة ... نغفل عن سر الطلسم ... نتعلق  
بجناح العنقاء ... ونحلق ...

نعلو فوق غمام الأيام الموءدة ... فوق دروب العمر الحجرية!  
نسبح في الأجواز المسحورة ....

نبني قصرًا للأشواق نسكنه لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ...

فالقصر مجرد أرجوحة ... تترنح على جرف سحابة ... تتعلق  
بشعاع غارب ... والشمس تلملم دفاء اليوم ... تسقط قصر  
الأوهام ... كالنورس يهبط من حالق ... يتردى بجناح  
مكسور ... يرتطم بقارب ...

القارب يبحر في لجة ليل ...

والليل جزيرة نسيان ... مرفأها يفرق في تيه اللحظة ...

في نفس اللحظة ... يطلع ذاك الفجر ... كمنار مكسور المرأة ..

لا يعكس ضوءاً ... لا يهدى القارب ...

فالفجر لأننا في غفلة - فجر كاذب ..

## مطر!

نسبنا لحظة! ...

أفلت منا الحذر! ... أرحنا رأسينا إلى كتف الحلم الوسنان ...  
لم نسمع دقة الساعة ... لم نر الضوء الأحمر! ...

عللتنا الأمانى فقفزنا عبر الأسوار إلى الأرض المحرمة ... لم  
نقرأ تلك الكلمات المسطورة فوق الأبواب «لا يدخلها إلا الغافلون» .

وقد غفونا ... أطبقنا الجفون على رؤيا عصر لم يولد ... ونبوءة  
أسفار عاقر ... لم تنجب يوماً أو ليلة ... لم نكتب سطرًا أو  
كلمة ...

غنينا لزمان الصم ... ورسنا لوحات للعميان!

ونسبنا لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ... واللحظة كانت حبلى بالسنوات!

وتمر اللحظة ... تفجؤنا شمس مشنوقة! تغرس في أعيننا البقطة  
نعرف أن اللحظة كانت لحظة ...

لا أكثر أبداً من لحظة ...

كانت غنوة ... أو بعض سراب! ...

وسنقنع من وهم غنيمتنا بذيول إياب ...

فلنجمع أشلاء اللحظة ...

قطعة حلم بجوار القطعة ...

ولنصنع منها تذكراً ... كزهور جافة نودعها صفحات كتاب ...

وحين نغرق في بئر الوحدة ... نسترجع ذات اللحظة ...

ذات الزهرة ...

نتنسم عطر الأحلام ...

نقرأ سطرأ ... من سفر النسيان ... يتحدث عن عمر  
ضاع ...

في لحظة ..

كلمات من دفتر قديم :

الحب ما منع الكلام الألسنة

والذ شكوى عاشقٍ ما أعلننا

« أبو الطيب المتنبي »

رباه!

سرت لا أريد غير بقية الطريق! يصاحبني احساسى العنيد  
بأننى قد قطعت الكثير ولم يبق إلا اليسير ... فكلما تقدمت  
خطوة ألقيت بنظرة إلى الخلف لأرى الركاب ...

تلال من الأيام والأعوام وأوراق الشجر الذابلة ... وأثار  
خطواتي تحفر فى الأرض مسارب الدروب ...

ودروب الأمس تملؤها أوراق الذكرى ... عند كل رابية ... عند  
كل منحنى ... رشقت أقدارى ورقة ... عليها سطر من أسفار  
العمر ... والسطر يثرثر عن حلم قد كان ... قد كان ...

يضمجرنى فعل « الكينونة » إذ يتعثر فى أسمال الماضى ...  
يصبح « شحاذاً » يتسول بعض حقيقة ... يبحث عن مرآة  
مشروخة! ... ومرايا القلب تغطيها أحزان صماء لا تنبس ...  
لاتصدر أهة ...

تتعلق عيناي بسطر لم يكتب بعد ... يتحدث عما «سوف يكون» ...

يبهرني فعل «الكينونة» إذ يتعلق بالآنى بعد الليل ... يبدو بشيراً للفجر الموعود ... يصبح مثل نبوءة ... تطرحها الشمس على الأكام الجرداء .. تزرع أمنية الأيام النضرة ..

فى اللحظة أدركت الفكرة! ..

الفكرة يا أختاه أن رماد «الفعل» يغطى أميال الأحلام ... يطمس أشعار الحب بلون مغبر ... يحيل ربيع العمر شتاء .... يتكس تحت الأقدام ... يملأ أيدينا ... يفعم منا الأعين والأفواه ...

ذلك أن كلينا لم يقو على النسيان ... فالإنسان مخلوق «يذكر» ...

مخلوق ينسج حلماً من غزل الماضى ... كى يوهم نفسه بالميلاد ... فيدق بجوف الليل الأجراس تبشر ... ذات نهار ... أن اليوم وليد!

وعند حلول القيقظ أصيلاً تسقط أقنعة الأطفال ... تسيل القطرات الشمعية من وجه عجوز ... تمتلئ التجاعيد دموعاً ... تكشف للواهم أن الوجه الأمرد قشرة ... تخفى وجهاً حجرياً نقشته يده برموز فى لغة القدماء ... تلك هى الفكرة ...

والفكرة تبدو يا أختاه ... بعضاً من تهويمات حمقاء ...

فالفارس قد أعياء طريق الشوك ... فأقعى بجوار أيكه «سدر» .

يبحث عن لحظة ظل ... أو شربة ماء ...

أخذته بعد هنيهة سنة من نوم ...

أغفى وقد راح يطارد بعضاً من أحلام صباه ...

كان وحيداً ... لا يشاركه فى الأيكه غير رؤاه ... وهناك رآها ...

وإليها كان يمد يديه ...

تلمس وجهاً نورانياً يشرق من حضن الآلام ...

تسمع صوتاً يهتف من غمر الصمت ...

فلتمسح عن مرآتك كل رماد .... وأنظر حتى تعرف قسماتك ...

راح بكلتا يديه يزيح غبار العمر ...

وفى المرأة ... كان هناك ...

طفلاً قد عاد ...

طفلاً تلقمه الدنيا ... قطرات من صرع رماد!

كلمات من دفتر قديم :

أنام ملء جفونى عن شواردها

ويسهر الخلق جرأها ويختصموا

«أبو الطيب المتنبى»

وصغيرة شعر تتفاقر فوق الأكتاف ... وحقيقية درس يضغطها  
ذراعاً الحلم إلى الأحضان ...

يأتى «نيسان»! ... وأزيع ستار الفصل «المقرر» .. أفتح  
نافذتى ... تتسلل نفثات زهرية ... أنفاس ربيع مولود ...  
اغترف بلاء يدي وأمسح وجهي ... أغمض عيني ... أسترجع  
تلك اللحظات ... لحظات القلب الراجف عند اللمسة ... حين  
نداعبه نظرات الحب الأول ...

أرنو للزهرة عند السور .. تتمايل تحت رفيف نسيم ليلي ...  
تذكرنى بعينها ...

كم كانت تحمل من أحزان ... من أشجان ... كم لمعت بالدفق  
الأخضر كالفيضان ... كم كان ... وكان ...

لو كنا نعلم أن الفصل يتيم لا يأتى كل عام ...  
وأن الشمس إذا طلعت لا تخطئ عدّ الأيام ... لو كنا ...

أكره فعل الشرط! ... أفتح أوراق الذكرى ... يطالعنى نفس الخط ...  
كانت تكتب ... كانت ترسم ... كانت تمننى لو لم يأت فراق ...

أطوى الأوراق ...

أودعها أدراج الصيف ... تتمدد كل الكلمات ... تستلقى  
فوق رمال الشط ... تتعاقب ألوان الطيف ... تنسل لونا لا يشبه  
كل الألوان ... يتوهج فى «الليل» الصيفى ... ينعكس بريقاً  
نحاسياً على خد أبنوسى ... يلتهب بدفء مدارى ... يغتسل  
بالأمطار فى خط الاستواء ...

## بر!

فى ليلي ... أكتب أشعارى ... وأنثر فوق الأوراق بعضاً من  
حكاياتى! وأغنى وحدى ...

لكنى أجمع سمّارى ... وأعد الراح لندمانى! ... تأتينى  
الرفقة من فيض الذكرى ... وتؤنسنى عرائس أحلامى ... لا  
أبقى وحدى! ...

أسدل أستارى فى الليل الشاتى! أبحث عن دفء مخبوء ...  
أتسمع صوت حفيف الأوراق خارج نافذتى ... مازالت تدفع عنها  
الريح المثلوجة ... تغسلها قطرات الأمطار ... تجلوها للفجر الآتى ...

أشعل فى مدفأتى النار ... أشرد فى وهج الجمرات ...  
أسترجع قصة حب منسية ... تتشكل من شرر اللهب الراقص  
بعض ملامحها ... أنذكر وجهاً يتألق فى زمن صباى ...

تتكاثف أبخرة الغاب... يتضوع عطراً وحشياً من أجساد  
تترافض حول حراب... والحلقة تسفر عن تلك السمراء... يفتّر  
الشجر المكتنز ببقايا شراب... يتساقط في قطرات أجمعها في  
كنفى... أنشرها فوق الصفحات...

تروى أحداث الفصل الحار... تبتزها كلمات من «أيلول»...  
هاقد أقبل برداء الحزن...

ثقله خطوات الذكرى.. كمرابى يجمع ما أعطى....  
يجلس صوبى محنى المظهر... يرمقنى فى صمت... أبادله  
بعض الكلمات...

أساومه كى يمهلى ليلة...

يمهلى حتى الفجر...

أسأله كى يغضى الوقت...

ماذا تلعب؟...

يخرج من طى ثيابه أوراق اللعب... يعطينى ورقة...  
أقبلها.. أقرأ ما فيها...

موعدنا الفجر!

كلمات من دفتر قديم:

الذكريات تعبير مهذب يعنى

فى الغالب «صحيفة سوابق»

حافلة

## بالأمس!

بالأمس رأيته!  
لم يكن شبهاً من الماضى!.. كان هو نفسه... صديقى الذى  
فقدته من دهر طويل...

لا أذكر على وجه الدقة كم مرّ من السنين!... أذكر فقط ذلك  
اليوم الذى التقينا فيه لآخر مرة..

كنت أجلس على المقهى العتيق الذى شهد سنوات الرفقة  
والصداقة ومنايع الطموح...

جاء يسرع الخطى لا هتافاً... وبادرنى وأنفاسه المبهورة تلمح  
وجهى...

- أخيراً وجدتها!...

كانت عيناه تلمعان ببريق لم أعهده فيهما من قبل!...

- من هى؟..

رق صوته وارتجفت نبراته وبدا كما لو كان يغنى ...  
 - حلم العمر يا صديقى! لن أصفها لك لأنى لا أجد غير تلك  
 الأوصاف التى لا كتبها إلا لسان ويرمت بها الأقلام واستهلكتها  
 قصائد الشعراء ... وكلها لا تنبئ عن الحقيقة ... وراح يومها  
 يتحدث عنها طوال ساعات ... كان قلبه يرقص على لسانه  
 ويتأرجح بين شفتيه متى أشفقت عليه!  
 كنت أعرف مدى ما يتمتع به من بساطة وما يغلف نظرتة  
 للحياة من براءة ... وخشيت أن يندفع وراء مشاعره العفوية  
 فيرتطم بصخر الواقع الذى يملأ الطريق دون أن يراه فهمست له أن  
 يعيش التجربة بخطو وثيد ويتحسس الدرب حذراً متمهلاً ...  
 وفوجئت به يبتسم فى وجهى ... وهو يرد بثقة :  
 - قلبى يصدقنى دائماً ... وسأبته! ... غداً أنقدم إليها ...  
 ساورنى الفزع! توسلت إليه أن يتأنى ... أن يفكر ... أن  
 يعطينا فرصة لكى نراها ونبحث ظروفها ونتعرف إلى ماضيها ...  
 فأجابنى غير مكترث ...  
 - أخطبها أولاً ثم أترك لكم بعدها أن تتقبوا وتبحثوا كما يحلو  
 لكم! ...  
 ومضى ...  
 انتظرناه فى اليوم التالى ... ثم فى اليوم الثالث ... ثم أيام  
 أخرى كثيرة ...  
 لم يأت ... ولم نسمع عنه ...  
 اندفعنا نبحث عنه ... واكتشفنا أنه قد ترك مسكنه ...

واستقال من عمله ... واختفى ... عشرون عاماً كاملة ...  
 نسيناه ثم نسينا أنفسنا حتى فوجئت به بالأمس ..  
 أمام أحد الفنادق الكبرى . حيث كنت مدعوا لحفل زفاف - توقفت  
 سيارة فارغة وهبط منها ... ولولا أن هتف بى منادياً لما عرفته ...  
 رأيت رجلاً فخماً بين أصابعه المرصعة بخواتم اللباس يرقد سيجار  
 كوبى هائل ... ومعه امرأة لا تقل فخامة ... وشابين فارعين ...  
 عانقنى ثم قدمنى لهم كصديق قديم ... وقدمهم لى ...  
 - زوجتى ... حلم العمر الذى حدثك عنه آخر مرة ...  
 غمز لى بركن عينه واستطرد مكماً ...  
 - ابنها الأكبر ... مهندس .. وهذا الأصغر ... طبيب ...  
 - أولادك؟ ..  
 - كلا .. أنهما ولداها من زواج سابق ...  
 بغمزة أخرى انحنى ليهمس فى أذنى ...  
 - كنت تريد منى أن أتروى وأفكر وأنتظر تحرياتكم ... ما  
 رأيك؟ ..  
 ضحكة غليظة مازالت تدق أذنى منذ الأمس ...  
 ... آه ... ياله من صديق فقدناه بسبب خشيتنا عليه! ..  
 وبالنأ من أذكىاء ... ومحكين ... وعابرة! ..  
 كلمات من دفتر قديم :  
 الماضى كالكرة ... يبتعد عنك  
 بقدر ما تركله!

التحرز ينتظر أن يسمع اللغة... واللهجة... وبينما تدور عيناه...  
تكملان رحلة البحث توقفنا بهزة المفاجأة ليراها...  
وأحس لأول مرة بكلمة المستحيل تتجسد أمامه... كائنات من  
لحم ودم....

إنها هي... لا توجد ذرة شك واحدة!... ولكن....  
الأمر يتعدى المفاجأة والدهشة ليقفز إلى تخوم الجنون واللامنطق!  
ثلاثون عاماً... طويلة... حافلة... مرت ويتمنى أن يراها  
مرة أخرى... حاول بكل ما تتيحه قدرة البشر... جرب كل  
الوسائل... وسار على كل الطرق... وجرى خلف كل الرموز  
التي يحفل بها قانون الاحتمالات!... لم ينجح...  
وحين أقعده اليأس اخترقه ببارق ضعيف من أمل... فقد  
بقيت الصدفة...

ولكن الصدفة تأخرت ثلاثين عاماً حتى تجسدت أمامه على  
رصيف مقهى فى باريس...  
هاهى ماثلة أمامه... تماماً كما كانت آخر مرة....

نفس اللهب الأخضر يشتعل فى سمرة الحنطة! والرأس  
المرفوع... والجبين الأشم!... وحبثاكرز تفتران عن بسمه  
تأرجح بين الخجل والسخرية... بلا شعرة بيضاء فى الرأس...  
بلا ثنية عمر فى الجفن أو فى العنق... بلا خط فى الجبين...  
ووجد نفسه يهمس مرة أخرى: محال!..

ركان المحال ببساطة أن تكون هي... فى نفس سنها القديم...  
حتى جاءه نفس الصوت القديم أيضاً... يهزج من خلفه: كأنك  
ترانى... أليس كذلك؟

## سفر!

لم تكن رحلته الأولى إلى باريس... ولم يكن هناك ما ينبئ  
عن جديد.... فقد أصبح افتتانه بالساحرة العجوز التي لاتهرم  
أبداً مجرد عادة!...

أجل! تعود أن يأتى ويترك نفسه للمدينة... تأخذ يده وتقوده  
إلى حيث تريد... ولم يسأل مرة: إلى أين... فكل خطوة تؤدى  
إلى متعة وتفتح باباً من أبواب الأسرار...

وهكذا ترك نفسه هذه المرة أيضاً ويحكم العادة...

كان المطر يتصل فى رذاذ مستمر... دفقات ريعية تربت  
بالدفء والشجن على صدره المكدود... لتتسبه كل ما ترك وراءه  
فى الوطن!... وقد ترك أشياء كثيرة ولكنه لم يترك الوطن... كان  
يحملة معه أنى تسير به قدماه... وهاهو يتأمل الوجوه على  
رصيف الشانزليزيه... حيث تعود أن يعثر دائماً برفيق من  
مواطنيه... وجوه كثيرة شرقية السمات... ولكنه من باب

التفت في دورة كاملة ... وكانت هي أيضا ... فقط بلا جنون ... بلا مستحيل ...

التجعدات الدقيقة في ركني العينين ... وتهذلات خفيفة في الرقبة ... وجيبان تحت العينين يحولان البريق المشتعل ... إلى رماد أخضر ...

الصوت فقط بقي كما هو ...

أعاد النظر إلى المستحيل وارتجت في داخله دقات قلبه كطبول حرب تنذر ببدء الهجوم الأخير ... وفي لحظة ... انشق الليل الباريسي عن بوقه الهام ...

همس بصوت لم يكن صوته :

- اينتك؟! ...

- أجل ... وأبوها يجرى اتصالا هاتفياً وسيحضر حالاً ... ربما أعرفه بك ... في لحظات سريعة .. حكى له قصة الصدفة! ... الابنة - المستحيل - مصابة بمرض عضال وجاء بها خلف الأمل الأخير! ..

وفي الصباح ...

كان على متن الطائرة العائدة للوطن ... لم يتحمل أن يفقدها مرتين!

كلمات من دفتر قديم :

المعرفة الحقيقية : أن تعرف

وتتغير! ... فالجاهل وحده من

لا يتغير مهما عرف .

«جوستاف لوبون»

## براءة!

سقط الظل على صفحة الجريدة فأحس أنه لم يعد وحده ...

كان قد سار طويلاً في ممرات الحديقة الرحيبة باحثاً عن ركن قصي يختلي فيه بجريدته ... حتى وجده أخيراً في المساحة المكشوفة الجرداء حيث لا تقترب أقدام الأطفال وخطوات الكبار المتسكعين ...

أخرج جريدته ... وانتقى ذلك المقعد الخشبي المستلقى تحت شمس شتوية دافئة ... وجلس ليقراً ...

في الصفحة الأولى طالعته أخبار الأزمة الأخيرة في العلاقات الدولية ... وكان يكره السياسة طواها إلى صفحة الرياضة وراح يستمتع بقراءة ما كتب عن فوز فريقه المفضل بالأمس ...

وفجأة سقط الظل على الصفحة ...

رفع رأسه فرأها ... كانت طفلة! ..

كلا ليست طفلة ... بل فتاة في عنفوانها ... ذهبية الشعر ..

تنعكس الأشعة الشمسية على جبينها فتدوب فى بوتقة تنسكب  
على الجبين لتلقى فى العينين الواسعتين بشلال من ضياء . . .

مشدودة نظرتها الودودة إلى ابتسامة على شفتيها . . . فى تعبير  
لم يره من قبل فى وجه امرأة . . .

أجلس ليست امرأة! فالبسمة بسمة طفلة لم تتجاوز عامها  
العاشر بعد . . . وتلك البسمة التى تدعوك للمشاركة البريئة فى  
مؤامرة صغيرة . . . تدعمها نظرة يلمع فيها مكر طفولى خالص  
(لاتخبر أحدا بالسر) . . .

ولابد أن ابتسامته هو كانت رداً . . . فقد أناه صوتها يزغرد :

- معذرة .. هل أضايك؟

ووجد نفسه يهتف بحرارة من ينفى تهمة :

- إطلاقاً . . .

أشارت بإيماءة خجلى إلى الجريدة فى يده . . .

- هل يمكننى أن أنصفح جريدتك لحظة؟ ..

قدم لها الجريدة وكان يتوسل أن تأخذ معها قلبه . . . تناولتها  
وشكرته بنظرة عميقة أشعلت فى داخله تلك الانفجارات الخفيفة  
للألعاب الأطفال فى الأعياد غرقت رأسها فى الصفحات  
المفرودة . . . ولم تبد حركة . . . تسمرت طويلاً وتجمد كل شيء  
حولها . . . اختفت تغاريد الطيور . . . وتلاشت صيحات الأطفال . . .  
حتى ضوضاء السيارات فى الشارع القريب لم تبق منها حتى  
الصدى . . .

وخلف سحابة داكنة توارت الشمس . . . وسرت فى الجو  
قشعريرة باردة . . . سقطت الجريدة من يديها . . . ومن عيونها  
انحدرت دمعتان . . . رفعت إليها أصابعها المرتجفة لتمسحها ثم  
استدارت وولت مسرعة . . .

أفاق من دهشة اللتاعة بعد لحظة . . . وانحنى بسرعة يلتقط  
الجريدة . . .

بلهفة فتح نفس الصفحة . . . وراح يدور بعينه باحثاً عن أى  
شئ يمكنه أن يبكى تلك الطفلة . . . وانهمك ينسج من كل سطر  
قصة . . . يعايشها حتى تبكيه . . . وفجأة سقط الظل مرة  
أخرى . . . فهب يواجهها . . . لم تكن هى . . . كانت أخرى . . .

تطلب نفس المطلب . . . تفتح نفسه الصفحة . . . تبكى أيضاً  
ثم تولى الأدبار . . .

نهض وسار . . . يبحث عن سر غامض . . . وكن هناك بين  
الأشجار . . .

يتضاكن ويشرن إليه . . . همس لنفسه فى عزاء غاضب . . .  
- دعابة أطفال . . . لا أكثر . . .

كلمات من دفتر قديم :

الحقيقة قد تدمى أحياناً . . . ولكن

جروحها تخرج الدم الفاسد .

جلس الرجل الشيخ على المقعد الأرجوحة ... وجلس الفتى  
الصبي عند قدميه ...

فى عيون الأول تلمع انعكاسات الأشعة الغاربة ... وفى عيون  
الآخر تبرق نجمتا حلم بعيد ...

قال الصبي ...

- حدثنى عن جنيات البحر ...

حشا الكهل غليونه ثم أشعله .. وارتعد صوته بلذة قديمة ...

- كن يخطر فى الليالى المقمرة ... عندما يكتمل البدر ...  
ترسمهن أولاً على الأمواج أشعة السنا الفضى ... ثم يتخلقن من  
غلالات صيفية تتجمع من لقاءات الزيد بالرمال ... تراهن بغتة  
على الشاطئ يحملن قيثاراتهن ويعزفن أغنيات الحب ...

- لمن؟

- لكل من يراهن! ...

- أكان متاحاً للجميع أن يرى؟ ...

كلا يابنى ... فالسر ليس متاحاً إلا لمن يملك الرؤيا ...

- ولكنك كنت ترى ...

- الرؤية غير الرؤيا ...

- إذا فقد كنت تحلم؟! ...

- الحلم أيضاً غير الرؤيا ...

- أكاد لا أفهم ماذا تعنى ...

- الرؤيا يا ولدى أن ترى بقلبك ... أن تنظر داخلك فترى مالا

تنظره عيناك ... لذلك كنت أراهن وحدى ...

- يدهشنى غرورك! فلست وحدك من يرى بقلبه ...

- ما أراه بقلبي لا يراه غيرى ...

- ها أنت تناقض نفسك فقد قلت منذ هنيهة أن جنيات البحر

يتبدلن لكل من يراهن ...

- ذلك أن لكل جنياته ... وجنياتى لسن هن جنياتك إلا إذا

كنت أنا هو أنت ...

- أنا لا أرى بعد أى جنيات ... وقد انتظرت لىالى اكتمال

البدر كل شهور وسهرت حتى الفجر فى كل مرة ... ولكنى لم

أرأيا منهن ...

- لأنك لم تنظر إلى داخلك ... ولم تر بقلبك! ...

- تقودنى مرة أخرى إلى سفسة الكهول! ...

- كنت فى شبابى البكر مثلك أبحث بعينى واتهم من يرى بقلبه ... ولا عليك يا ولدى فما تعيشه من ربيعك يزحم كل مشاعرك ويكدسها فى صدرك فلا تترك ثغره ينفذ منها شعاع الرؤيا ...

- وأنت الآن تزعم أنك صاحب رؤيا؟ إن هي إلا حسرات الماضى وإحباطاته تصنع لك فى خريفك وهما ترى فيه مالم تستطع أن تحققه ...

- ربما كنت على حق! ولن أجادل ذلك ... فلم يعد يهمنى أن يكون ما أراه وهما أو حقيقة ... فقط يهمنى أن أراه ... والآن هاقد اكتمل البدر ... وهامى شعاعات السنا تتجمع على قمم الأمواج ... وبعد لحظة ... يتجمعن عند الشاطئ ...

راح ينفث دخان الغليون بشراسة ... وعيناه تبرقان فى مواجهة القمر ...

ونهض الفتى ... يضرب الرمال بقدميه ... ويفكر ... كيف ينظر الإنسان إلى داخله ؟

كلمات من دفتر قديم :

لو أتت الرياح دائما بما تشتهى

السفن ... لما عرف الإنسان

فرح الوصول إلى الشاطئ .

## اللعبة

اجتمعنا فى شرفة جارنا كعادتنا كل ظهيرة حول رقعة الشطرنج ... كانت الشرفة متصلة بالشاطئ وكنا جميعاً نقضى إجازة الصيف ...

اكتشفنا بعد أيام قليلة أن هواية الشطرنج تجمعنا على اختلاف فى قدرة كل منا وإحاطته بفنون اللعبة ... باستثناء جارنا ... ذلك الرجل الوقور الذى يتمتع بالإضافة إلى وضعه المرموق كواحد من كبار الرجال المتنفذين فى البلد ... بسمعة مدوية فى مجال اللعبة ... وقد راح يتسلى علينا واحداً بعد الآخر ... ويهزمننا فى الموقعة اليومية بلا رحمة ... ثم يجلس فى استرخاء وهو يتناول المرطبات ويشكو من افتقاده للذة اللعب لانعدام الندية وحرارة المنافسة ... وكنا رغم إحساننا المرير بالغيث والمهانة نستسلم لمداعباته الثقيلة مقوضين الأمر لله! ...

حتى كان صباح ذلك اليوم المشهود ... ونحن مندمجون مع

نقلات المباراة بين «جارنا» وواحد منا ... انتبهنا فجأة على صوت رفيع له نبرة حادة ...

- نقلة الفرس خاطئة! ..

رفعنا عيوننا جميعاً لنراه ... طفل غض بلباس البحر لا يتعدى عمره الثانية عشرة .. ولا بد أن نظرانا إليه كانت تقدح بشعر الاستهجان والسخرية ... لأنه مالبث أن أردف قبل أن ينطق أحدها ...

- نقل الفرس يعرّى جناح الوزير ... ولا بد أن يؤكل الوزير بالتالى لأن الخصم سيحرك الرخ الحمى بفيله يهدد الملك أو الوزير فغدنا أفواهنا دهشة ... ونظرنا إلى جارنا الذى اكفهر وجهه وتقلصت ملامحه ... وهتف بالطفل مؤنباً:

- إذا كنت تلعب الشطرنج فلا بد أنك تعرف آداب المشاهدة ... وأهمها ألا يتدخل متفرج فى سير اللعب أو يدلى بأى ملاحظة!

أحنى الطفل رأسه خجلاً وغمغم:

- أسف ... لن أنطق بحرف إذا سمحتم لى بمتابعة اللعب ...

أوماً جارنا برأسه معطياً له الإذن فى برود ... ثم استأنف اللعب ...

وانتهت المباراة كالعادة بفوز «الأستاذ» .. وبر الطفل بعهده ولم ينطق .. حتى بدأ الجار العزيز فى الإلقاء مطولته اليومية عن سوء مستوى منافسيه وإحساسه بالملل وانتفاء الندية! ..

تقدم الطفل بابتسامة ساذجة مؤدبة:

- أسمح لى بشرف اللعب معك ياسيدى؟ .. دور واحد فقط! ..

ارتفع حاجبا جارنا استهانة واستنكافاً ... ونظر لنا كأنه يشهدنا على حماقة الطفل ... وحين لمح على وجوهنا أمارات الترقب والتأييد ... ضحك بعصبية .. ثم غمغم بلهجة المضطر ...

- لا بأس ... ولكن كما قلت ... دور واحد فقط! ..

راح الطفل يعيد ترتيب الرقعة بسرعة ... ثم بدأت المباراة .. وبعد خمس دقائق فقط ... كان جارنا يحملق فى الرقعة بعينين جاحظتين وقد تخشب فى جلسته واحمر وجهه ... وكان الطفل يهمس وعلى وجهه ابتسامة وانية كابتسامة الجيوكوندا:

- كش ملك! ..

... مات الملك! ... وظل جارنا مسمراً مكانه ... بينما نهض الطفل ... يمد له يده:

- شكراً يا عمى!

لم يصفحه الرجل ... بل انفجر بأمره بالجلوس ...

- اجلس لنلعب دوراً آخر ... استهنت بك فلم أركز! ..

استأنفا اللعب ... سبع أدوار متتالية ... انتهت كلها بنفس النتيجة ..

... وطوال الأيام التالية ... شهد الشاطئ منظرأ لم يبرح ذاكرتى طوال سنوات ... الطفل يلعب الراكب مع رفاقه ...

وقريباً يجلس الرجل الوقور أمام رقعة الشطرنج ينتظر بلهفة انتهاء  
لعبة الراكث... وبداية المباراة الأخرى...

(تناهت إلى أسماعنا فيما بعد أقاويل عن استقالة جارنا من وظيفته  
واستقراره بتلك المدينة الشاطئية حيث يحمل كل يوم رقعة وصندوق  
الشطرنج ويطوف بهما على المقاهى باحثاً عن طفل يلاعبه).

كلمات من دفتر قديم:

لو أن بينى وبين الناس شعرة  
لما انقطعت... فإذا شدوا أرخيت  
وإذا أرخوا شددت...

«معاوية بن أبى سفيان»

## فيروز!

... ينسكب الصوت فى أذنيه شلالاً من ضياء فينير تلك  
المساحات المعتمة من الأحزان الجاثمة فى الأعماق...  
ويداخله اهتزت أوتار أصدأها الصمت الطويل...  
كانت الترنيمة تأتى من هناك... عبر السور الفاصل بين  
الشرفتين...

لم ينتبه قبل اللحظة لوجود من يجاوره.. فقد ظل المسكن  
خالياً منذ جاء ليقطن تلك البناية الجديدة... وظل يعانى من  
وحشة قاتلة!..

كل ما حوله فى الحى الجديد هادئ... راق... نظيف...  
حيث يلمع الصمت... وتتهامس الألوان المتجاورة للشجر والزهور  
والنوافذ الزرقاء...

كم كان يأنس إلى المنزل السابق فى حيّه القديم حيث يتعانق

الصنخب مع توهج الناس ويلتحم الزحام بمشاعر الألفة  
والاقتحام... لكنها رحلت...

فجأة ذات صباح... صرخت... جاءت سيارة  
المستشفى... ذهبت... ولم تعد...

وكان لا بد وأن يهرب... فالبقاء معها - بدونها - موت يتجدد  
كل ساعة... وبصماتها تغطي كل ما تلمسه يده... وعطرها  
يعبق في كل نفس يعيش عليه...

رحل إلى حيث لم يألف... إلى الصمت اللامع... والألوان  
الهامسة... سيظل يراها كما رآها طوال أعوام الحب المترعة... ولكن من  
بعيد... من هنا... سيرها أقرب... ربما أبعد... ولكن أكثر حياة...

تلك الأغنية كانت أهزجتها المفضلة... كلما ارتدت  
غلالاتها المسائية وتهادت إلى جواره وراحت تدندن له...

كانت تعشق هذا الصوت... وعلمته أن يبادلها العشق غيره...  
وتلك الكلمات بالذات... منرجع - خبرني العندليب...

بأن البلابل لما تزل... هناك تعيش بأشعارنا...

وتسأل في نفسه... أهى الصدفة وحدها؟... ربما فعشاق  
الصوت كثيرون!..

لكن الأمر تكرر في اليوم التالي... ثم في اليوم الثالث...

في نفس الموعد كل يوم... مع اختفاء الشمس في حمرة  
الشفق... يدير الجار نفس الأغنية!... لا يمكن أن تكون مجرد  
صدفة! «همس لنفسه وهو يختلس النظر إلى الشرفة المجاورة...

لم يحاول عمره أن يتلصص أو يقتحم خصوصية الآخرين...  
ولكن الإغراء هذه المرة لا يقاوم... فهناك في صدره تضطرم تلك  
الانفعالات وتكاد تموضه...

...ومن خلال الستار رآها...

كانت عتمة الرماد في الأفق الغربي تظلل الوجه... لكن  
الرأس... والشعر... والقوام... وطريقة وضع الساق على  
الساق... وارتكازها بنحدها على كفها... و....

الأغنية!!

تجمدت أوصاله وأحس بالرعب يختلط بفرح أخرس يهدد  
البكاء المكتوم...

هرع إلى حارس البناية...

- من بالشقة المجاورة!..

- لم يقطنها أحد بعد...

- لكنها بالداخل... تجلس في مدخل الشرفة... خلف  
الستار... وتدير شريط فيروز... وحملت الحارس في وجهه  
هنيئة... ثم أمسكه من ذراعه وقاده إلى الرصيف المقابل... وأشار  
له بزيارة...

- أترى؟.. المسكن مغلق...

صعد معه إلى المسكن... ففتح... كان خاوياً...

هو في الحقيقة لم ينتقل... ولا يستطيع!...

## السيرة الذاتية

- من مواليد طنطا بمحافظة الغربية .
- من أسرة تعيش في مدينة كفر الشيخ .
- حصل على ليسانس الآداب - قسم الدراسات النفسية والاجتماعية ،  
في جامعة عين شمس .
- كتب القصة القصيرة والرواية ونشر في الدوريات الأدبية حتى منتصف  
السبعينات .
- تحول إلى كتابة الدراما للتلفزيون من عام ١٩٧٧ .
- كتب للتلفزيون ٢٦ مسلسلا و ٢٠ سهرة ، وللسينما ٥ أفلام .
- صدر للكاتب عدة مؤلفات منها : خارج الدنيا - أحلام في برج بابل -  
مقاطع من أغنية قديمة - الاسكندراني - ليالي الحلمية - الناس اللي في الثالث

ودار نهضة مصر أصدرت للمؤلف ثلاثة كتب هي :

أوراق مسافر

تباريح خريفية

همس البحر

## الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣	طيف	٤٤
المقدمة	٤	كذبه	٤٨
قدر !	٧	عصفور !	٥١
خريف	١٠	عائده	٥٤
موجه	١٣	وعد !	٥٧
شاهد	١٦	ظل	٦٠
حلم !	١٩	عطر !	٦٦
لقاء !	٢٢	رماد !	٦٩
سؤال	٢٥	سمر !	٧٢
حين تأتى !	٢٨	بالأمس !	٧٥
قبيل الفجر	٣١	سفر !	٧٨
أراني	٣٥	براءة !	٨١
غربة	٣٨	سمر !	٨٤
شجن	٤١	اللعبة	٨٧
		فيروز !	٩١

# مع تحياتي : علي مولا



قررت أن أكتب في الرومانسيات  
... أترك نفسي لتيار المشاعر  
يحملني في سفرة يومية عبر  
أجواء اللاشعور والمخبوء ...  
وما انحلت عليه الجوانح ...  
وأريد أن أغمس سن القلم في  
شغاف القلب ... يستمد مداده  
من الجراح الحية ... ونسيج  
الذكريات وأحلام اليقظة وأطلال  
الأمال الكسيرة وإشراقات  
الأماني الوليدة ... مقبراً أنتى  
في حقيقة الأمر لا أكتب  
تهويمات تتطاير في الهواء  
كدخان ... وإنما أكتب حقائق  
نفسية تبدو شديدة  
الخصوصية ولكنها في واقع  
الأمر تلمس أوتار القلوب لدى  
كل قارئ ...  
لم أتصور قبلاً أن لدى كل هذا  
المخزون .. وأن بداخلي هذا  
الشاعر وإن لم يك ما يكتبه  
شعرا ..

اسامة أنور عكاشة



# مع تحياتي : علي مولا

مع تحياتي : علي مولا